الأدب القومى

التراث القصصى عند بدو سيناء

(الكتاب الحائز على جائزة الدولة للتفرغ عام ٢٠٠٠ م)

حاتم عبد الهادى السيد

الناشر
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
تليفاكس : ٥٢٧٤٤٣٨ - الإسكندرية

الأدب القومى

التراث القصصى عند بدو سيناء

الناشـــــر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

العنـــــوان: بلـوك ٣ ش ملـك حفنـى قبلـى السكة الحديـد - مساكن درباله - فيكتوريا - الإسكندرية.

تليفـــاكس: ٥٢٧٤٤٣٨/ ٠٠٢٠٣ (٢ خـــط) - موبـــايل/ ٠١٠١٢٩٣٢٣٣

الرقم البريدى: ٢١٤١١ - الإسـكندرية - جمهوريـــة مصـــر العربية.

E- mail

dwdpress@yahoo.com
dwdpress@biznas.com

Websitc

http:/ www.dwdpress.com

عنوان الكتاب: الأدب القومى - التراث القصصى عند بدو سيناء

المؤلـــــف: حاتم عبد الهادى السيد

رقـم الإيـداع: ١٣٠٤٣ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولى: 3 - 485 - 327 -977

"أما بعد : فإن أدركك كتابى هذا وأنت لم تدخل مصر ،فارجع عنها وأما إذا أدركك وقد دخلتها ، أو شيئا من أرضها فامض ، واعلم أنى ممدك " فالتفت عمرو إلى من حوله وقال : أين نحن يا قوم ؟
فقالوا: فى العريش . فقال : وهل هى من أرض مصر أم الشام ؟
فأجابوا: إنها من مصر ، وقد مررنا بعمدان رفح أمس المساء ، فقال : هلموا بنا إذاً قياماً بأمر الله وأمير المؤمنين "

(من أخبار فتح عمرو بن العاص لمصر سنة ١٨هـ - ٦٣٩ م)
(من نص كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص)

أيها الأب الرحيم الشفيق
الذى فى قبضته حياة الأرض قاطبة ،
أيها الرب إن ألوهيتك كالسماء العالية :
نهر عريض مفعم بالأثمار ، ..
هو الذى يخلق الأرض ويؤسس المعابد
وسيمى أسماءها ..
والوالد الذى يلد الآلهة والناس
ويجعل المساكن تقام وينشئ القرابين
وهو الذى يدعو الملكية ويعطى الصولجان
ويحدد ما هو مقدر للإنسان فى الأيام البعيدة
وهو الأمير ذو البطش لا يرى ما فى قلبه الفسيح أى إله ..
والرب الذى يقرر حكم السماء الأرض
والذي لا مبدل لأمره
والقابض على النار والماء والمرشد للمخلوقات
الأحياء ، فمن ذلك الإله الذى يعادلك ؟
من المعظم فى السماء ؟
إنك أنت وحدك المعظم
ومن المعظم فى الأرض ؟ انك أنت وحدك المعظم ..
اشمل بنظرتك بيتك ! انظر إلى مدينتك انظر إلى " أور " [*]

---

[*] "من نص بردية أنشودة سين إله القمر عند القدماء المصرين " .

تصدير

في البدء كانت الكلمة ، ومن الكلمة أشتق الكلم فكان الكلام ،وكانت اللغة . ومنذ أن خلق الله "آدم وحواء" وأنزلهما الأرض بدأت القصة الأولى للإنسان . وتاريخ البشرية حافل بالقصص ، ولعل أقدم قصة على الأرض قصة " قابيل وهابيل " وما كان في شأنها.

ولم يعرف الإنسان الكتابة- في بادئ الأمر - وإنما عرف الإيماءات والإشارات والحركات ، ثم الكلام ، واختلفت الرموز باختلاف الأمكنة والأزمنة ، فنشأت اللغات ، وتنوعت اللهجات.

وتنقل الإنسان الأول بحثا عن الطعام والشراب ، والكلأ والمراعي ، وأثناء تنقله تعرف إلى شعوب وأقوام يتكلمون بغير كلامه فتعلم منهم واندمج في لغتهم ليحقق السلام بينه وبينهم . وصفحات التاريخ البشري حافلة بالحروب والغزوات ، غارات القبائل والشعوب ، والهجرات الفردية والجماعية مما مهد لنشوء الحضارات ، فدخلت جماعات في كنف جماعات وشعوب ، فتكونت الدول والأقطار والممالك ، وظهرت الطبقات والسلالات والأعراف ، فكان السادة والعبيد ، والملوك والأمراء ، وظهرت حضارات وسادت ، وبادت حضارات واندثرت ، وبدأ الإنسان في تنظيم معيشته لينعم بالاستقرار ، وسن القوانين التي تنظم حياته وعلاقته بالآخرين ، وأصبح كل فرد مسئول ، يعرف ما له ، وما عليه.

وبعد أن استقر الإنسان وبدأ يشعر بالأمان ، تطلبت الحياة منه أن يبحث عن شيء يسلي عنه همومه بعد التعب والجهد أثناء النهار ، فكانت جلسات السمر بالليل على ضوء النيران المشتعلة ، فبدأ الإنسان يقص للآخرين ما لاقاه في يومه من أهوال ، وما لاقاه في رحلاته عبر الصحراء وهو يصطاد ، أو عن أهوال البحر .. وما إلى ذلك ؛ فكانت القصص والحكايات اليومية مادة للسمر اليومي ، ولعبت الطبيعة دورا بالغ الأثر في تهذيب النفوس ، فاستمع الفرد لأصوات العصافير والبلابل ، وصوت الرياح والعواصف ، وصوت خرير الماء وهو البحار وموسيقا الصمت الخارجة من خلف الجبال والسهول في الصحراء الشاسعة الممتدة فبدأ بتقليد الأصوات فظهر الغناء ، وتمايل مع هذا السحر فكان الرقص ، واستخدام السيوف والخناجر وأدوات الصيد في توقيع هذا الرقص المتناغم وصنع من قرون الوعول والخراف والماعز أبواقا ومن أخشاب الأشجار مزاميرا فانتشر الرقص والغناء ، وتخصصت جماعات في هذا الفن فكان الطبال ، وصاحب المزمار ، ونافخ البوق، والمغني الذي يقول الكلام الموقع والذي تطور بعد ذلك حتى أصبح شعرا ينظم .

وتداول الناس القصص والأشعار والحكايات مشافهة إلى أن ظهرت الكتابة والتدوين ، وبظهور الكتابة بدأت مرحلة جديدة للتاريخ فتحددت الحضارات ، وتأكدت القوميات ، وبدأ الإنسان في التأريخ الحقيقي لحضارته.

وبتقسيم الكلام إلى شعر ونثر ظهرت الألوان الفنية ، والأجناس الأدبية وتحددت ملامح وهوية كل فن ، وكتبت القصص نثرا وشعرا، وظهرت السير والمغازي والملاحم والأساطير والرسائل والديوانيات ، وقُعِّدَت القواعد فظهر النحو والترقيم والنقط والخط وتحددت الملامح الفنية لكل لون وجنس أدبى.

والقصة جنس أدبى ظهر منذ بدء الخليقة وتكوّن وطور نفسه ، وقد سبقت الأساطير والخرافات فن القصة بمراحل كثيرة مستندة فى ذلك إلى الخيال ، فوجدنا الخيال الشعبى يحدثنا عن الجن ، والعفاريت ، وعن الغول ، وعن التنين ذا الرؤوس المتعددة ، وعن الديناصورات والعنقاء، وقصص العماليق ، والأقزام ، وأبو رجل مسلوخة، وعن الفارس الذي اختطفته آلهة السماء .

وتطور الخيال الشعبى فظهرت قصص " الشاطر حسن"، و"على بابا " و"سندريلا " و "البساط السحرى " ، وقصص العرافات وضاربات الودع "، وحكايات " البحر " و "ألف ليلة وليلة " و "كليلة ودمنة" و " الأميرات ذات الهمة" ، و " عنترة " و الزير سالم " و أبو زيد الهلالى" و " سيف بن ذى يزن " ، و "حى بن يقظان "، وقصص الغيلان، وشياطين الشعر وقصص الكهان ، والصعاليك ، والعُبّاد والنُسّاك المتصوفة، وظهرت " المقامات " وتتابعت القصص والحكايات التى تدل على مدى تطور الخيال الشعبى عند هؤلاء القدماء ، ولا شك بأن هذا التراث الخصب كان الأرض الرحبة لنشوء فن القصة الحديثة.

ومما لا شك فيه إن القول بأن " فن القصة " فن غربى هو قول من قبيل المغالاة و الإجحاف لتاريخ القصة العربية ، ولتاريخ الهرب على مر العصور والأجيال . فهل يعقل أن تقوم دول وحضارات دون قصص وحكايات؟! وهل يعقل أن يوجد إنسان فى بقعة ما من الأرض دون أن تحدث معه قصة؟! وهل الإنسان ووجوده إلا قصة فى حد ذاتها ؟ بل أننى أزعم أن العرب هم أول من عرفوا " القصة " وبصورة محددة " المشرق العربى وحضارته القديمة" بدليل قدم الحضارة العربية ، وإذا كانت "أوربا " والعالم كله - الآن يحتفلون بميلاد الألفية الثالثة للعالم فإننا هنا فى المشرق العربى نحتفل بالألفية السابعة ، وحضارة سبعة آلاف عام تكون سابقة بآماد بعيدة حضارات لا تتعدى الثلاثة آلاف عام بمراحل كثيرة.

كما أن أدوات القياس لا يمكن أن تكون بهذه المعايير والشروط التى وضعها النقاد الغربيون للقصة وذلك انطلاقا من مقولة بسيطة مفادها : إن ما ينطبق على مكان ، لا يمكن أن ينطبق على مكان آخر ، وأن مقاييسا يمكن تطبيقها فى مكان لا يمكن أن تنطبق فى مكان آخر ، فهل راعى النقاد الغربيون ظروف المكان والزمان والأحداث فى هذه الحضارات والأمم والشعوب السابقة وبحثوا فى تاريخها حتى يمكن لهم أن يحكموا بأن القصص الغربى سابق على القصص العربى؟ وهل تاريخهم وحضارتهم أصيلة وضاربة الأصالة والقدم مثل حضارتنا العربية الشرقية ؟!

وقد يزعم البعض بأنني متحيز بحكم عروبتي وقوميتي ، ولكن التاريخ ينفي ذلك ، وفي العلم لا مكان لتحيز أو اختيار وتفضيل ، فالحضارة هي الأصل ، وهي الفيصل عبر الأزمنة والعصور.

كذلك لن نفتح المجال للتخمين والظن فقد يقول قائل : هل كان آدم عربيا أم أعجميا ؟ وأين نزل ؟ وكيف تكونت الشعوب ؟ ! فكل ذلك مردود عليه ، ولكن تبقى الحضارات والأمم والقوميات ولا مجال لتخيلات أو اسرائيليات هدفها تشويه وطمس تراثنا الشرقي العربي الأصيل.

إن أحدًا فردًا ، كائنا ما كان ، دولة ، أو مملكة ، لا يمكن أن يتجاهل تاريخ وحضارة الشعوب العربية وعراقتها وسبقها في تعليم العالم معنى التمدن والرقي ، فكم من حضارات وشعوب وأمم قامت حضارتهم على فتات حضارتنا العربية ، واستفادت من فكر العرب وتقدمهم وسبقهم على مر الأجيال وتعاقب العصور .

إن تاريخ القصة العربية أشبه بسجل حافل بالأحداث والتواريخ والأيام والحكايات التي لا يمكن حصرها وذلك لتعاقب الأزمنة ، فكيف يتم تجاهل كل ذلك ويقال : بأن العرب همجيون ، رعاة إبل وماعز ، وأنهم ضاربون في التخلف ، وهم قد علموا العالم معنى التمدين والرقي والتقدم ومبادئ العلم الأول والذي بنيت عليه الحضارات الحديثة - الآن أصول تقدمها ونهضتها العلمية والتكنولوجية!!

وهذا المجال إذا ناقشناه قد يطول ، ويحتاج إلى مبحث طويل ليس مجاله هذا البحث ، وإن ألمحنا إليه فمن باب الإشارة والتدليل إلى مدى عراقة الحضارة العربية ودول العالم القديم في المشرق العربي قبل نشوء أمريكا وقبل ظهور " أوربا " الحديثة المتطورة والغرب بصفة عامة.

وكنت أود هنا أن أقدم مبحثا طويلا أسميه " التراث القصصي عند العرب " ولكنني وجدت أن هذا يحتاج إلى مجلدات كثيرة فقصرت الحديث على جزء من تراثنا القصصي في مصر وبالتحديد في منطقة شبة جزيرة سيناء ، وشجعني إلى ذلك أن هذا المبحث لم يكتب فيه باحث عربي أو غربي إلى وقتنا هذا فيكون لي فضل السبق في إزالة الستار عن حلقة مفقودة من حلقات تراثنا العربي الخالد ، وليرد في صمت على دعاوى الغرب وسبقهم إلى فن القصة ، فتاريخ سيناء أصيل ومذكور في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم ، وحضارة شبة الجزيرة السيناوية تمتد إلى سبعة آلاف عام وترتبط بالحضارة العربية لأنها مستقاة من لحمة هذه الثقافة وهي جزء أصيل فيها، وطمس معالمها وتجاهلها هو من قبيل العبث بتراثنا القومي وأدبنا الشعبي الزاخر ، فيكون هذا الكتاب صورة مضيئة لمصرنا ولوطننا العربي ، وحلقة مفقودة منسية ومعزولة ،كحال سيناء على مر العصور ، وعندما نزيل عن هذه الصورة غبار الماضي نشاهد كنوزا مطمورة من سفر تراثنا العربي الخالد.

ولما كان من الصعب على باحث مفرد وحيد أن ينبش في قبور تراث زاخر ويحاول وحده أن يجلوا عنه الغبار الذي كساه لأكثر من سبعة آلاف عام فإن المهمة هنا تصبح شاقة بل وشبه مستحيلة ، فالأمر يحتاج إلى مراكز بحثية وخطة قومية للكشف عن هذه الكنوز الأصلية والتى تشكل تاريخا مضينا لمصرنا الخالدة ، ولكن الأمر يسهل على قليلا لأننى ابن المكان ، المولد ، والأصل ، والخبير بدروبه ومسالكه ، وجباله ووهاده ، وكيفية جمع المادة من الذاكرة الشفاهية ، فهذا السفر الجميل غير مكتوب إلى الآن لصعوبة الجمع الميدانى من جهة ،وغلظة لهجة بدو سيناء من جهة أخرى فتحملت الأمر كله بقدر ما يطيق شخصى ، وأخذت على عاتقى الجمع والتحليل وارتياد الجبال والوديان للوصول إلى "العجائز".من البدو والقاطنين بعيدا والفارين ببداوتهم من زحف المدينة الحديثة ، كما كان الهدف من هذا الكتاب هو المحافظة على هذا السفر العظيم من تراثنا قبل أن يندثر بموت الحفاظ ، فقد زحفت المدينة الحديثة واقتلعت خيام البدو ، وعلت فى قلب الصحراء أشجار الأسمنت الشاهقة ، ودخلت أجهزة الإعلام ، المسموعة والمرئية ، فاصطبغت حياة البدوي بحياة المدينة وخلع البدوي جلبابه وعقاله ، واستبدل جمله بالسيارة وبدأ يقلد الآخرين فى أسلوب معيشتهم وطرق تفكيرهم ، فأصبح التراث غريبا يرتجف ، وفر الكثيرون إلى الجبال بداوتهم ، ومن هنا كانت الضرورة والأمانة تقتضي بأن أجمع ما تيسر لى من هذا التراث

الجميل حتى لا يندثر فيضيع كنز قومي وتاريخي أصيل من كيـان ثقافتنا المصرية ، وحسبى أننى أديت حسبما أطيـق ، وحسبي الله فيما أطلب ، كي أسدد دينا غاليا فى عنقى لسيناء الحبيبـة ابنـة مصرنـا الغالية، وقرة عينها وبوابتها الشرقية.

والله – من قبـل – الموفـق والمستعان ، وعليه التكلان ، وهـو حسبي ، وبالله التوفيق.

شمال سيناء : ١/ ٨/ ٢٠٠٠ م

حاتم عبد الهادى السيد

عضو اتحاد كتاب مصر

سيناء في
تراث العالم القديم

إذا نظرنا في تراث العالم القديم فإننا سنجد أن ثلاثة من هذه الشعوب قد خلفوا تراثنا هو قوة حيوية في الزمن الحاضر، أولئك هم العبرانيون، والإغريق، والرومان ومبتكرات عبقريتهم : نبوة العبريين وفلسفة اليونان وشعرهم ونحتهم، والقانون والتنظيم السياسي لروما وكلها تكون تراثا فيه وحي دائم للإنسانية [1]

وإذا علمنا أن الشعوب الثلاثة كان موطنها شواطئ البحر المتوسط لأدركنا أن تقسيم شعوب العالم القديم إلى ثلاث قارات: أوربا و أفريقيا و آسيا هو تقسيم اصطناعي لا جدوى منه، وإذا كان "و.ج. دى بورج" حينما تكلم عن مدنيات الشرق - قد عرض لمصر كأقدم المدنيات، إلا أنه أشار بذلك ليمهد لدراسة العبريين، وتلك نظرة خبيثة من مستشرق غربي لا يريد أن ينسب الفضل لأصحابه في تطور العالم القديم، ومع أنه تكلم عن مصر والبابليين والآشوريين إلا أنه جاء في السياق ليمهد لدراسة تفصيلية لبيان فضل العبريين والرومانيين على سائر الشعوب وتلك نظرة في تقديري - خبيثة -، وتمتد إلى تلك

---

[1] تراث العالم القديم (و . ج د ى بور ج) ترجمة زكي سوس، الهيئة العامة للكتاب ص ١٥ .

السياسات الغربية التى تعمد إلى طمس هويتنـا وتراثنا الثقافى وتأثيره فى شعوب العالم القديم.

ويبدو للقارى أننا جنحنا بعيدا عن موضوع البحث بذكر تراث العالم القديم ونحن إذ عمدنا إلى ذلك فإنما لنبرز دور سيناء ومـا تمثله فى تلك العصور السحيقة ، وهل كان لها دور يذكر ؟ وما هو موقعها فى تلك المدنيات ؟ وهل هى عريقة وضاربة الأصالة بحيث يجىء ذكرها عند الحديث عن شعوب ومدنيات العالم القديم ؟ !

ذكر هيرودوت : أن مصر هبة النيل ، وقد تكونت مملكتان فى بواكير الألف سنة الرابعة ، وكان "مينا " هو أول ملك فى الأسـرة الأولى حوالى (٣٤٠٠) وهو الذي وحد القطرين ، ومن هذه المرحلة فصاعدا يمكن جمع التاريخ المصرى حـول قيام وسقوط ثلاثة حقب عظيمة من التطور ممثلة فى : الدولة القديمة ، والدولة الوسطى ، والإمبراطورية الحديثة.

ففـى الدولـة القديمـة التـى تمتـد إلى ألـف سـنة ، تتـابعت الأسرات من الأولى إلى السادسة ، وفى عهد " ممفيس " ٢٩٠٠ ق . م كانت الدولة قد بلغت سبيلا عظيما من السيادة والرقى ، فبسط ملوك هذه الأسرة سيادتهم صوب الغرب على "ليبيا" وصوب الجنوب على " النوبة " ، واستغلوا مناجم سيناء ونهضوا بالتجارة عن طريق أساطيلهم فى البحر الأحمر والمشرق . أى أن سيناء منذ القديم قد لعبت دور سياسيا واقتصاديا عظيما إبان حكم الدولة القديمة.

وفى العصور الوسطى كانت الثقافة ثقافة فن لا ثقافة أدب ، ومع ذلك انتشرت القصص الشعبية والدراما الدينية ، وبظهور البردى تم تسجيل هذه الفنون بالخط الهيروغليفى ، والديموطيقى أو الشعبى و الإغريقى وظهر الفن المصرى جليا من خلال النقوش البارزة فى الصناعات المنوية والميسينية ، وبرز الفن المعمارى ، وظهر النحاتون وبنيت القلاع والحصون ، وزخرفت بالنقوش ، أى أن الفن المعمارى والنقش بالتحديد هو الذى سيطر على عقل المبدع المصرى فى تلك العصور ، علاوة على بعض الكتابات الدينية والأدبية والتى اضطلع بها الكهان والكتبة.

وفى عهد الدولة الحديثة حكم مصر البدو الساميون " الهكسوس الرعاة " وانفصلت سوريا وكنعان من أيدى المصريين فى السنوات الألف الثانية ق . م حيث كانت شعوب البحر فى " إيجا " تعمل فى الدلتا نهبا وتخريبا ، وحدث فى غضون هذه الفترة من بداية نشوء الإنحطاط أن قطن العبرانيون فى جاسانGoshen وكان الخروج إلى صحراء سيناء ليس متأخرا من عهد واحد من فراعنة الأسرة التاسعة عشر حوالى (١٣٢٠ - ١٢٠٠)[1]

وما يهمنا هنا فى هذه الحقبة التاريخية القديمة هو قصة خروج العبرانيين واستقرارهم بسيناء ، حيث انتشرت عبادة الإله "يهوه" فى صحراء سيناء .

---

[1] تراث العالم القديم ، مرجع سابق ص ٣٤ .

وأقام العبرانيون على تخوم مصر فى صحراء سيناء إلى أن تم انقاذهم على يد " موسى عليه السلام " إبان حكم الأسرة التاسعة عشر وبعد أن تجولوا فى صحراء سيناء ، وجدناهم يستقرون فى "قادش " فى جنوبى كنعان ، وأوجد " موسى " اللغة العبرية بإقراره بعبادة " يهوه " كدين قاصر على "الأسباط " ، وبعد أن استقروا بكنعان تخلصوا من عادات البداوة وجاء " داود " ومن بعده " سليمان " عليهما السلام - فنمت التجارة وصار للعبرانيين اتصال أكثر قربا بالثقافتين المصرية والبابلية [1]

أى أن العبرانيين هنا دخلاء على أرض سيناء ، وليسوا سكانها وقصة خروجهم أكبر شاهد على ذلك وعندما استقروا فى كنعان كان الفلسطينيون هناك فقامت الحروب بينهم وبين العبرانيين منذ القرنيين العاشر والحادى عشر ، أى أن الصراع العربى الإسرائيلى قديم وأزلى وليس كما تدعى إسرائيل وغيرها ، ولقد أقام اليهود فى كنعان نظاما ملكيا بقيادة "شاءول البنيامى " الذى استقل دينيا وقوميا فغدت عبادة "يهوه " هى الرمز المعترف به لمصير العبرانيين هناك.

ولسنا هنا بصدد الحديث عن العبرانيين ودينهم ، ولكن اقتضت ضرورة البحث التعرض لها لنؤطر لتاريخ سيناء السياسى والاقتصادى والجغرافى والدينى أيضا ، كما أننا ألمحنا إلى ذلك لندلل إلى ما تعرضنا له سيناء وفلسطين من أطماع على أيدى

---

(1) و . ج . دى بورج ، مرجع سابق ص ٤٨ ، ٦٩ .

العبرانيين الذين تحول اسمهم بعد ذلك فى عصرنا الحديث - الحالى - إلى الصهاينة والإسرائيليين.

وقد هيأت حياة العبرانيين الدينية لظهور المسيحية ، ولقد اعترف " السيد المسيح " نفسه بهذه القرابة عندما أعلن أنه جاء لا ليهدم الناموس ، ولكن ليكمل.

ولسنا هنا بصدد التأريخ لليهودية والمسيحية وأثرهما على الفكر العربى ولكننا عرضنا لمثل هذه الإشارات لندلل بأن سيناء المصرية العربية كانت مقرا لسير الجيوش ، كما شهدت الكثير من المعارك والمواقع الحربية ، وكانت ملاذا لليهود فى " أرض التيه " حيث تاهوا بسيناء أربعين سنة كما وجدنا بها آثار مسيحية وإسلامية سيأتى الحديث عنها لاحقا.

ولا يفوتنا عند الحديث عن موقع سيناء فى التراث القديم أن نشير إلى أن القدماء المصريين قد اتخذوا من "سين " إلها وعبدوه ، وسميت سيناء قديما " أرض القمر " فكانت سيناء مكانا للعبادة ، ومعبدا للإبداع والإلهام والشعر والخيال ، وقد عثر فى البرديات القديمة على نص أنشودة الإله " سين " إله القمر الذى عبده المصريون القدماء ، وقد رأيت أنه من المفيد أن نسرد نص البردية هذه التى عاشت لتقول للعالم أجمع بأن سيناء بعراقتها ، وما لعبته فى التاريخ القديم لهى خلقية بأن تحظى - اليوم - بكل التقدير والرعاية

نظرا لأهميتها الاستراتيجية وعظم قدرها وقداستها على مر العصور والأزمان ، تقول البردية :

أيها الأب الرحيم الشفيق ...
الذى فى قبضته حياة الأرض قاطبة ...
أيها الرب إن ألوهيتك كالسماء العالية ...
نهر عريض مفعم بالأثمار ، ...
هو الذى يخلق الأرض ويؤسس المعابد ...
ويسمى أسماءها ...
والوالد الذى يلد الآلهة والناس...
ويجعل المساكن تقام وينشئ القرابين ...
وهو الذى يدعو الملكية ويعطى الصولجان ...
ويحدد ما هو مقدر للإنسان فى الأيام البعيدة ...
وهو الأمير ذو البطش لا يرى ما فى قلبه الفسيح أى إله ...
والرب الذى يقرر حكم السماء والأرض ...
والذى لا مبدل لأمره ...
والقابض على النار والماء والمرشد للمخلوقات
الأحياء ، فمن ذلك الإله الذى يعادلك ؟
من العظم فى السماء ؟
إنك أنت وحدك المعظم
وحينما يتردد صدى كلمتك فى السماء فإن آلهة العالم العلوى

يسجدون لك.

وحينما يتردد صدى كلمتك فوق الأرض فإن آلهة العالم

الدنيوى يقبلون الأرض لك.

وحينما تنزل كلمتك إلى عليين كالهواء فإنها تجعل المراعى

تنمو وعيون الماء تغزر .

وحينما تنزل كلمتك إلى الأرض فإن الكلأ يخرج .

وكلمتك تصير الحظائر بما فيها من قطعان بسمينة .

وتنشر المخلوقات الحية .

وكلمتك يتولد منها الصدق والعدالة وعلى ذلك يتكلم الناس

الصدق وكلمتك السماء العلا ، والأرض المستورة

التى لا يخترق حجبها نظر و من يفهم كلمتك ؟

ومن يضارعها ؟

اشمل بنظرتك بيتك ! أنظر إلى مدينتك !

أنظر إلى " أور" .

وهذه الأنشودة - كما يقول " جيمس هنرى بريستد " أنشودة جميلة كانت تغنى لإله القمر " سين " فى مدينة " أور " كما تتغنى بها القبائل التى كانت تعبد الإله القمر فى سيناء المصرية [1] ويذكر لنا "بريستد" : أن قبائل سيناء قديما - وقبل ظهور العبرانيين - كانوا يعبدون أيضا إلها اسمه "يهوه " يقول : وقد صاحب خروج العبرانيين

[1] سيناء وطنى ، الهيئة الإقليمية لتنشيط السياحة بشمال سيناء ١٩٨٤.

من مصر ظواهر خارقة ذات صبغة بركانية ، وقد قام من بينهم عبراني امتاز بحسن سياسته ، وقوة قيادته البارعة ونصب نفسه قائدا لهم ، وخلصهم من العبودية ، وكان " موسى " هو ذلك الاسم ، وقد صاحبت حوادث التخليص بعض الكوارث الطبيعية التي قضت على الجيش المصري المقتفي لآثار موسى ، وفي بداية الأحداث تخلف موسى في الصحراء جنوبي فلسطين عند قبيلة من القبائل البدوية التي تعرف بأهل " مدين " وقد مكث هناك فترة طويلة مع أحد خدامهم المقدسين الذي يدعى " شعيب " وعرف منه الكثير عن إله القبيلة المسمى " يهوه " وفي اقليم " مدين " الممتد من سيناء حتى وادي نهر الأردن وقع فوران بركاني ضخم لم تنس القبائل المحلية ذكراه منذ العصر العبراني المبكر ، وأن "يهوه " الذي اتخذه العبرانيون إلها لهم كانت القبائل المحلية في سيناء تعبده من قبل باعتباره " إله البراكين ".

وهذا الرأي لبريستد مردود عليه إذا رجعنا قليلا إلى ما كتبه "و . ج . دي بورج" في قصة دخول العبرانيين إلى سيناء ثم خروجهم إلى كنعان بفلسطين وتخلصهم من البداوة التي عاشوا فيها ، فقد اختلط الأمر على هنري بريستد - فيما أرى - وظن أن اليهود الذين عاشوا في سيناء واختلطوا بالبدو هناك هم من القبائل المحلية التي تقطن سيناء وتنتسب إليها وهو في هذا مخطيء كل الخطأ ، إذ أن بدو سيناء - قديما - كانوا يعبدون الإله " سين " إله القمر وليس الإله "

يهوه " إله العبرانيين وهو بذلك أراد عن عمد أو غير عمد أن يجعل من سكان سيناء عبدة للإله " يهوه " وفى هذا بعد كبير ومجافاة للحقيقة وليرجع بريستد إلى دى بورج ليرى مدى الصواب فى كلامه ولنؤكد له أن القبائل المحلية فى سيناء لم تعبد إله العبرانيين ، وكذلك لم يستق موسى المعرفة من " شعيب " عليه السلام بشأن الإله " يهوه " وإنما "موسى " عليه السلام " هو الذى أقر عبادة الإله : "يهوه " وجعلها دينا يخص الأسباط هناك ولذلك لزم التنويه حتى لا نقع فريسة للمخطط الغربى فى تهويد سيناء مثلما يدعى اليهود ذلك على مر العصور والأزمنة.

وقد تضمنت التوراة التى تعزى إلى موسى ، والتى كتبت فى زمن الأسر البابلى ، أى بعد الخروج المفترض من سيناء ، بعض النصوص التى ذكرت فيها أسماء سيناء والعريش . ففى سفر الخروج نرى بعض العبارات : "لم ارتقى ميرون العريش وأثقل كاهل العبرانيين بنير من حديد"[1] ثم نرى فى العهد القديم ورود اسم سيناء فى قصة الخروج : "فى الشهر الثالث أى بعد خروج بنى إسرائيل من أرض مصر ومن ذلك اليوم جاءوا برية سيناء . وارتحلوا من "ديفيديم" إلى برية سيناء ، فنزلوا فى البرية ، هناك نزل إسرائيل مقابل الجبل ، فقال الرب لموسى : ها أنا آت إليك فى ظلام السحاب لكى يسمع الشعب حينما أتكلم معك . اذهب إلى الشعب وقدسهم اليوم وغدا ، ليغسلوا

---

[1] سفر الخروج ، الإصحاح الثالث (التوراة).

ثيابهم ويكونوا مستعدين لليوم الثالث ، لأنه فى اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء . وقد أطلق المصريون عليها اسم " خاست ممفكات " أو "دومفكات " وتعنى "جبل الفيروز" لذا سميت سيناء باسم " أرض الفيروز " حيث كان المصريون القدماء يستخرجون الفيروز من منطقة " سرابيط الخادم " فى الألف الرابع قبل الميلاد وقد بنى المصريون معبدا " لحتحور " سيدة جبال الفيروز إلهة الحب والجمال.

وسماها الآشوريون اسم " مدين " وأسماها العبرانيون - المهاجرون عن طريقها إلى مصر أو الذين تاهوا فى جبالها - طور سيناء.

كما عرفت سيناء فى الآثار المصرية باسم " توشويت" أى الجدب ، أو الأرض الجرداء ، وسماها الآشوريون كذلك باسم " مجان " ولعل الكلمة محرفة من الاسم العربى " مدين " كما أسلفنا - ، وسماها اليونانيون" أرابيا بترا" أى البلاد العربية الصخرية لكثرة صخورها ، كما عرفت فى التوراة باسم " حوريب " أى الخراب.

وأسماها المصريون بعد ذلك " توشويت " أى بلاد الجدب والعراء وعرف أهلها فى الشمال باسم " هيرو شايتو" أى أسياد الرمال نسبوا إلى جنس "الآمو" المعروف عندنا بالجنس السامى ، كما عرف أهلها فى الجنوب باسم " مونيتو " وكان المونيتو والهيرو شاتيو متشابهين فى الهيئات الخلقية وفى الملابس والمعيشة البدوية.

وذكر العلامة " هسكنز" أنه قد وجد حديثا في "سوسة " في خرائب مملكة بابل نصبا تاريخيا دلت ترجمته التي نشرت عام ١٩٠٧ م أن سيناء كانت تسمى قديما "أرض مجان " وان" نزام" سين" غزا مجان سنة ٣٧٥٠ ق. م فقهر صاحبها " مانيو " وحمل إلى عاصمته "عقادى " قطعا من حجرها المعروف باسم " حجر الحية" GREEN DIORITE فصنع منه تماثيلا لنفسه ونقش على قاعدة أحدها خبر هذه الغزوة ومدين هو الاسم الذى عرفت به سيناء عن مؤرخى العرب وهو محرف عن اسم " مجان " المذكور فى هذا الأثر البابلى[1]هذا ولم تحظ بقعة فى العالم بمثل ما حظيت به سيناء ، فهى المسرح التاريخى الذى شهد فصولا متعاقبة من الأحداث التاريخية نظرا لما تمثله من أهمية استراتيجية فى خريطة العالم قديمه ووسيطه وحديثه.

أولا سيناء فى العصر القديم :

عرف القدماء المصريون أهمية سيناء وأولوها اهتماما خاصا فى عصر الأسرات الفرعونية ، ولقد تعرضت مصر للكثير من الغزوات التى جاءت إليها عبر الشرق ،فكان مجىء الهكسوس الغزاة (١١٦٠ - ١٥٨٠ ق. م) عبر سيناء ، واستمر هذا الغزو أكثر من قرن ونصف إلى أن تحررت مصر من أيديهم على ايدى حكام طيبة : "سيكننرع " - "كاموس " - "أحمس " وخرجوا من مصر مثلما جاءوا عن طريق سيناء وقد حدث ذلك فى نهاية عهد الأسرة السابعة عشر وأوائل عهد الأسرة

---

[1] من النيل إلى نبو ، هسكنز ، وانظر فى هذا تاريخ سيناء ، نعوم شقير ٤٣٦ : ٤٣٨ .

الثامنة عشر ، كما عبرها " تحتمس الثالث " (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق . م) حينما خرج بجيشه قاصدا بلاد الآسيويين لردع المغيرين على حدود مصر الشرقية ، وامتدت انتصاراته إلى مدينة "مجدو" ، أو "تل المسلم " أو "مرج ابن عامر" ، ولما توالت الانتصارات أعد "تحتمس" ستة عشر حملة عبر سيناء حتى عبر نهر الفرات ، وقبل ذلك قاد " سيتى الأول " جيش مصر (٣٠٤ - ١٩٥ ق . م) حيث كان متوجها لبلاد الحيثيين ليؤدب الطامعين في أرض الكنانة . ثم جاء رمسيس الثانى حيث تقدم عبر سيناء بأربعة جيوش على الطريق الحربي القديم ووصل إلى بلاد كنعان " فلسطين " وتوالت انتصاراته على قبائل آسيا الصغرى ، وكذلك " رمسيس الثالث " قاد حملاته إلى سوريا عبر سيناء ولقد وجدت آثار هذه المعارك - مفصلة - على جدران معبده بمدينة "هابو " المصرية.

ثم جاء " الآشوريون " إلى مصر عبر سيناء - أيضا - وتصدى لهم " أبسماتيك الأول" وانتصر عليهم وطردهم حتى وصل إلى الفرات كما جاء الفرس إلى مصر عبر سيناء يقودهم " قمبيز بن قورش" (٥٢٥ق. م).

وعندما فر اليهود من " بنو ختنصر" عبروا سيناء واستقروا بمصر فارين من هذا الاضطهاد الغاشم ، كما عاود الفرس غزوهم لمصر عن

طريق سيناء ، ودخلوا مصر ولم يخرجوا منها إلا اليونانيين وكذلك جاء الرومان وغيرهم [1]

ثانيا : سيناء فى العصر الوسيط :

وفى العصر الوسيط سطع نور الإسلام ، وبرز نجم العرب فى الجزيرة العربية وما حولها - ولقد كان الفتح العربى لمصر إبان عهد الخليفة "عمر بن الخطاب " بمثابة أول الحملات الحربية على مصر عبر صحراء سيناء ، فلقد أرسل هذا الخليفة إلى مصر جيشا قوامه أربعة آلاف مقاتل ، وجعل على رأس الجيش " عمرو بن ألعاص " والتقى الجيش العربى مع الجنود الرومان فى " الفرما " وتمت هزيمة الرومان ثم واصل المسلمون زحفهم حتى تم لهم فتح مصر عام ٦٤٠ م . فأصبحت سيناء جزءا من أرض الخلافة الإسلامية ،تأتى عبرها الجيوش العربية لتخرج من مصر لتواصل زحفها - فى عهد الدولة الأموية - إلى غرب أفريقيا حتى وصلت إلى الأندلس، وكذلك فى عهد الدولة العباسية كانت سيناء معبرا للجيوش الإسلامية ، وأعقبت هذه الحروب الحملات الصليبية التى دامت حوالى القرنين من عمر الزمان - "القرن الحادى ، والثانى عشر الميلاديين " - واحتل الصليبيون " بيت المقدس " والسواحل الفلسطينية والسورية ووجهوا أنظارهم بعد ذلك إلى مصر أكثر من مرة عبر سيناء ، كما قام القائد الصليبى " بلدوين " بحرق مدينة الفرما بكل سكانها وخرجت عليهم

---

[1] سيناء وطنى ، مطبوعات الهيئة الإقليمية لتنشيط السياحة ٢١ : ٢٢.

جيوش صلاح الدين لتطردهم وتم تحرير بيت المقدس ، وفي العصر المملوكي خرجت الجيوش من مصر عبر سيناء في عهد " سيف الدين قطز " و" الظاهر بيبرس البندقداري " لتحقق النصر على التتار في معركة " عين جالوت "، كما قدمت الجيوش العثمانية إلى مصر عبر سيناء وهزمت الجيوش المصرية في معركة " مرج دابق " وقتل السلطان " قنصوه الغوري " وهكذا كانت سيناء في ذلك العصر معبرا للجيوش ومسرحا للحروب.

ثالثا : سيناء في العصر الحديث :

في هذا العصر ازدادت أهمية سيناء بعد حفر "قناة السويس" في عهد " الخديوي سعيد باشا " وذلك لأن هذه القناة ربطت البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط ، وسهلت طرق التجارة ، فطمع في أرضها الكثيرون ، وقد عني " محمد علي باشا" بسيناء عناية كبيرة لأهميتها الاستراتيجية ففي عام ١٨٠٥ م أي بعد خروج الفرنسيين من مصر أرسل "محمد علي باشا " العديد من الحملات لتأديب العربان الذين كانوا يقطعون طرق التجارة والحج ، وأصبحت سيناء معبرا للجيش المصري ، إذ استولى " محمد علي " على الشام ، كما سير جيوشه - عبر سيناء - للقضاء على الحركة الوهابية في الحجاز .

كما لاقت سيناء اهتماما كبيرا في عهد " إبراهيم باشا " حيث قام بعمل إصلاحات في سيناء بترميم الآثار بمناطق " قطية - بئر العبد - الشيخ زويد " ونظم البريد بسيناء ، واهتم ورثته " عباس" و "سعيد "

و"إسماعيل " و "عباس حلمى" بسيناء ، والتى شهدت بعد ذلك عبور الجيوش الإنجليزية من مصر إلى فلسطين فى الحرب العالمية الأولى[1]

لكن أكبر فصول التاريخ الحديث تتمثل فى الحروب الأربعة التى قامت بين مصر وإسرائيل (١٩٤٨ - ١٩٥٦ - ١٩٦٧ - ١٩٧٣) علاوة على حرب الاستنزاف (١٩٦٨م - وحتى ١٩٧٢ م) ولقد تم وضع سيناء فى الاعتبار حينما خطط اليهود لإنشاء وطن قومى لهم فى منطقة الشرق الأوسط وكما هو معروف فإن "تيودورد هرتزل" زعيم الحركة الصهيونية - كان ينادى بإنشاء وطن قومى لليهود يضم أرض كنعان القديمة "فلسطين " علاوة على ضم سيناء ، وتقدم "هرتزل " إلى الحكومة المصرية بمشروع طلب امتياز يمتد لـ ٩٩ عاما لاحتلال سيناء - هكذا بالنص - وكان من بنود المشروع : "منح الدكتور هرتزل حق احتلال سيناء واستعمارها لمدة ٩٩ عاما ، ويصبح القادمون إلى سيناء من الرعايا المحليين ، لهم كل الحقوق ، ويعفون من الضرائب والرسوم ولكن لم يكتب لهذا المشروع النجاح إذ لم توافق الحكومة المصرية آنذاك - على طلب الامتياز . وفى عام ١٩٥٦ م تعرضت مصر للعدوان الثلاثى ، وأعلنت إسرائيل - رسميا - ضم سيناء ، ثم لما أرغمت على الانسحاب رأيناها تراوغ وتطالب بتقسيم الحدود على غرار ما كانت عليه أيام الدولة العثمانية ، ولكن هذه المحاولة أيضا

---

[1] سيناء وطنى ، مرجع سابق ص ٢٢.

باءت بالفشل . وكانت ومازالت مطمعا لكل الدول الطامعة فى أرض مصر .

هكذا عاشت سيناء مهمشة فلم يلتفت أحد إلى هؤلاء البدو الذين يعيشون على أرضها ، كيف يأكلون ؟ ويشربون ؟ ومن أين يدبرون مصادر رزقهم ؟

لذا ظل تاريخ هذه المنطقة غير مكتوب ، واقتصرت كتابة التاريخ السيناوى على الحروب والغزوات التى شهدتها شبه الجزيرة السيناوية على مر العصور ، كما وصف البدو هناك بأنهم قطاع طرق ولصوص وجاء ذكر البدو فى " التوراة " بأنهم أعدى أعداء المصريين - والمقصود بالمصريين هنا البدو المصريين فى عهد سيدنا موسى عليه السلام : "كل راع هو نقمة على المصريين " ووصفهم "الجبرتى " بعد ذلك بأنهم : " أقبح الأجناس وأعظم بلاء محيط بالناس " وذلك لأنهم كانوا يهاجمون القوافل التجارية ورحلات الحج . لذا وجدنا فى العصرين "القديم والوسيط " خروج حملات من قبل الفراعنة لتأديب هؤلاء البدو[1]

هذا ولم يقتصر تاريخ سيناء على الحروب والغزوات ، بل شهد تاريخها عدة هجرات أهمها : الهجرة اليهودية فى العصر القديم ، والهجرة العربية الكبرى فى العصر الوسيط ، وفى "سفر الخروج " نرى تخليدا لهذه الهجرات اليهودية ، فنرى سيدنا موسى عليه السلام يخرج

---

[1] سيناء وطنى ، مرجع سابق ص١٩.

من مصر قاصدا " فلسطين " وإن مات قبل أن يدخلها - وأكمل الرحلة بعده " يوشع بن نون" ودخل باليهود إلى فلسطين عبر سيناء.

ثم جاءت الهجرة العربية قبل دخول الإسلام نتيجة للقحط الذى عم بالدول المجاورة ، فقصدوا مصر لخيرتها الوفيرة ، فهاجر إلى مصر الحجازيون والنبطيون ، ثم هاجر فرع من قبيلة "قضاعة " واستقروا بسيناء ، وهذا الفرع هو قبيلة "بلى " الموجودة - حاليا - بسيناء ، حول الفرما ، كما هاجرت قبائل أخرى مثل : "جذام " ، ولخم " و" ربيعة " و" بنو صخر " ، "وثعلب " .

وعندما جاء الإسلام هاجر بعض سكان القبائل إلى مصر مثل : "قريش " وجذام " و" لخم " و"بلى " - أيضا - وكذلك هاجر بعض سكان قبائل "قيس عيلان " و"ربيعة " و "جهينة " و"حمير" وبنى جمعه" وغيرهم.

ولقد استقرت أكثر من سبعة عشر قبيلة فى سيناء من أصول آسيوية من جنوب فلسطين والأردن والسعودية وغيرها.

وكان من آثار هذه الحروب والغزوات والهجرات أن تجمعت عبر صحراء سيناء ثقافات شتى ، واختلطت مع ثقافة البدو فى سيناء فوجدنا المعابد الفرعونية القديمة ، والكتابات والنقوش الهيروغليفية ومنها نقوش الملك "خوفو" والملك "ببى" والنقوش الستة التى دمرها الإنجليز وهم يبحثون عن الفيروز هناك والتى يرجع تاريخها إلى "أسيس" وبعض القلاع فى مدينة "الفرما" وبقايا معبد للإله "حتحور "

فى منطقة "سرابيت الخادم " وخرائب مدينة "بلوسيوم" أو بلوزيوم" القديمة.

كما اختلطت الثقافات بدخول الهكسوس ، فدخلت العربة والعجلة، ثم دخلت الساقية والسمسم مع الفرس ، وكذلك انتشرت الثيران مع مقدم الحيثيين ،وعن طريق بلاد الشام دخل الملح وخشب الأرز والزيوت وآلات الموسيقا ، والمصنوعات الجلدية ، ومن بلاد ما بين النهرين "العراق " وكذلك الخليج العربى دخلت المنسوجات الصوفية والحصير ، كما دخل من قبل مع القبائل العربية المهاجرة الجمل والحصان وغيرها . وأثناء الحكم اليونانى والرومانى خلف المسيحيون آثار كثيرة مثل : دير " سانت كاترين " كذلك أثناء هجرة اليهود تركوا بصمات كثيرة كالمعابد وغيرها.

وعندما جاء الإسلام انتشرت المساجد والجوامع بجوار الكنائس فى العصر الفاطمى ، فقد بنى " صلاح الدين الأيوبى " قلعة " الجندى " قرب " عين " سدر" وقرية" ميعومة" وكذلك ابتنى "قنصوة الغورى " قلعتين " بنخل " و" العقبة " ، ثم وبدخول الفرنسيين مصر قام "نابليون بونابرت " بترميم سور دير " سانت كاترين " كذلك قام "إبراهيم باشا" فى عهد "محمد على " بإصلاحات كثيرة لهذه الآثار وابتنى "عباس باشا" الحمامات الكثيرة فى سيناء ، كما شهدت قلعة "العريش" - الموجودة آثارها حاليا بمدينة العريش- "معاهدة العريش " عام ١٨٠٠ م.

ومن الجدير بالذكر أن الاستعمار الإنجليزى حاول مرارا عزل سيناء عن مصر ، باعتبار سيناء آسيوية ، كما جاء الاحتلال الإسرائيلى إلى سيناء وحاول اليهود عزل سيناء وفصلها عن مصر وخططوا لذلك كثيرا واستقر الرأى إلى عقد مؤتمر كبير سمى "مؤتمر الحسنة" وفيه تم دعوة شيوخ قبائل سيناء واتفقوا معهم على إبداء رغبتهم فى الانفصال عن مصر وجمعوا لذلك وكالات الأنباء ورؤساء تحرير الصحف العالمية ليشهدوا تدويل سيناء وانفصالها عن مصر بموافقة شيوخ القبائل ، وفى هذا المؤتمر اتفق شيوخ القبائل فيما بينهم على فضح المخطط الإسرائيلى لعدم موافقتهم عليه واتفقوا فيما بينهم أن يتكلم أحد هؤلاء باسمهم جميعا وأشاروا للشيخ "سالم الهرش " ليتحدث فأعلن أمام أجهزة الإعلام الغربية والصحافيين بأن بدو سيناء يعتزون بانتمائهم لمصر ، كما يؤكدون على سيادة مصر على سيناء واعتزازهم بزعامة الرئيس "جمال عبد الناصر " وبذلك فشل المخطط الصهيونى لعزل وتدويل سيناء وانفصالها عن مصر وليؤكد البدو أمام جميع أجهزة الإعلام ووكالات الأنباء العالمية بأنهم وطنيون مخلصون لمصر الخالدة وهذه البطولات موجودة ومسجلة فى ملفات المخابرات الحربية وفى ملفات"سيناء العربية " وهذه المنظمة أسسها الزعيم الراحل جمال عبد الناصر عام ١٩٦٨م وكان غرضها الأساسى القيام بعمليات فدائية داخل الأراضى المحتلة ، وبث الرعب فى صفوف الإسرائيلين ، وتنفيذ عمليات خاصة داخل مواقع الجيش الإسرائيلى ، وقد اشترك

بدو سيناء فى هذه المنظمة إلى جانب أبطال كثيرين من السويس والإسماعيلية وبور سعيد وغيرها ، وقد امتد عمل المنظمة إلى فترة الرئيس الراحل "محمد أنور السادات " كما شارك أعضاء المنظمة فى حرب السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣م. مما ينفى شبهة عدم الانتماء عند بدو سيناء ، ويؤكد وطنيتهم وولائهم لمصر الحبيبة.

وقد شارك الشاعر البدوى فى المعارك بقصائده وسلاحه ، كما اشترك فى ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢م تحت قيادة الرئيس "جمال عبد الناصر " وشهد تأميم قناة السويس ، واشترك فى الزود عن الوطن فى العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦م ، ورأينا آلاف الشهداء من البدو يموتون وهم يحملون السلاح دفاعا عن الوطن ضد الاحتلال الإسرائيلى الغاشم لهذا رأينا ديوان الشعر البدوى السيناوى يسجل هذه البطولات الموجودة بملفات المخابرات المصرية يقول شاعرهم : [1]

مضت علينا أعوام وسنين وسنين — لعبوا بنا الافرنج على هواهم

والواسطة منا ملوك وسلاطين — منهم تعذبنا وذقنا بلاهم

فى ألف وتسعمائة وخمسين واتنين — ثاروا رجال الشعب والله هداهم

"جمال وصحبته ومن وراهم ملايين — فكوا جيوش شعوبهم من عداهم

جمال جاب الحق من ها الملاعين — بالرغم من أنوفهم مع لحاهم

أمم قنال الشعب رغم العدوين — وان ما عجبهم مستعد للقاهم

واللى حصل فى عام ستة وخمسين — توافقوا على غدرنا من هواهم

(1) ثقافة البادية ، ملامح الشعر البدوى فى بادية سيناء ، حاتم عبد الهادى السيد ، مركز الحضارة العربية ١٩٩٨م.

طبع اليهود الغدر حين بعد حين	نكثوا عهود الأنبياء من عمــاهم
بريطانيـا وفرنسـا هـا الملاعـين	لما اعتـدوا على مصر ما لن هداهم
ومعهم "بن جوريون " ها الكافر الشين	جيشه عـدو الدين واحنا عداهم
غارا علينـا نـاس ما عندهـم ديـن	بـارودهم تتلامعـن تبـين ايداهـم
جمال لحق جيشهم سكة الدين	ولخبط عليهم أرضهم مع سماهم
والله ما يدوموا حكومة بفلسطين	وجيوش العروبة حايطة من وراهم
شباب العرب عزهم نصرة الدين	أهل السعد من يوم ربى نشاهم
لو سلحونا كان حنا حظيظين	يوم النهار الشين نفزع معاهم
لكننا شعوب وللحكومة مطيعين	ووين ما صلوا نصلى وراهم

والأمثلة كثيرة فى هذا المبحث ، ولكن المجال هنا لا يسمح بسردها تفصيلا وإنما دللنا عليها هنا لندفع عن السيناويين شبهات الولاء للمحتل الصهيونى التى طالما ترددت فى الأفواه ، ولاكتها الألسن بغير حق.

وأحسب أننى قد حاولت فى هذا الفصل أن أبرز تاريخ سيناء فى تراث العالم القديم ، ثم عرجت بعد ذلك إلى تاريخها فى العصر الحديث ليكون مدخلا عن أدب البادية وتراثها القصصى ، إذ أن أمة أو حضارة بدون تاريخ أصيل ترتكز عليه ، لا يمكن أن يكون لها أدب ناضج يستحق التقدير والدراسة ، وأحسب أن سيناء بعد هذا العرض الموجز لتاريخها عبر العصور التاريخية تستحق كل تقدير ودراسة لما لها من أهمية حضارية واستراتيجية حيث تمثل لمصر الشريان القوى ، ولم لا وهى صاحبة العراقة وبوابة مصر الشرقية على مر العصور و الأزمان ؟ !

الحياة الطبيعية في سيناء

كانت مصر وشبه الجزيرة العربية وحدة جيولوجية واحدة وفى أواخر العصر الجيولوجى الثالث شهدت المنطقة انكسار امتد من شرق أفريقيا إلى شمالها والتف حول بحر " التثيز" وهى التسمية الجيولوجية القديمة للبحر الأبيض المتوسط وامتد إلى الشام . وهو ما نعرفه فى كتب الجغرافيا "بالأخدود الإفريقى العظيم " ، والبحر الأحمر جزء من هذا الأخدود . وشبه جزيرة سيناء تقع بين خليجى هذا البحر "العقبة والسويس" ولا شك أن موقع سيناء الجغرافى قد أكسبها أهمية تاريخية عظيمة.[1]

الشكل والمساحة :

سيناء بوابة مصر الشرقية ، وهى عبارة عن مثلث مقلوب قاعدته تمتد شمالا على ساحل البحر الأبيض المتوسط بطول ١٣٠ ميلا. وطول ضلعه الممتد على خليج السويس ١٥٠ ميلا وضلعه الثالث الممتدعلى خليج العقبة يبلغ حوالى ١٠٠ ميلا . ورأس هذا المثلث يقع فى أقصى الجنوب عند " رأس محمد " ، وهو مثلث غير متساو بل يميل قليلا نحو الجنوب ، لذلك فارتفاعه من "رأس محمد " جنوبا إلى "رأس برون " شمالا يبلغ حوالى ٣٩٠ كم أما من ناحية العرض فإن

[1] سيناء وطنى ، مرجع سابق ١١: ١٢.

أقل مسافة بين خليج السويس وخليج العقبة تصل إلى حوالى ١٢٠ كم ولأن المثلث مائل نحو الجنوب فإن أضلاعه الثلاثة هى الحدود السياسية من فلسطين شرقا ، وساحل البحر الأبيض شمالا ، ثم أخيرا الخط المائل بين رأس خليج السويس وخليج العقبة جنوبا.

وتتميز سيناء بأنها تطل على ثلاثة سواحل : البحر المتوسط وخليج السويس ، وخليج العقبة . وأصبحت بعد حفر قناة السويس محاطة بمياه البحر باستثناء الحدود الشرقية التى كانت تشكل الحدود السياسية مع فلسطين.

وتصل مساحة سيناء إلى "٦١" ألف كيلو متر مربع ، أى حوالى ٦ ٪ من مساحة مصر التى تزيد قليلا عن المليون كيلو متر مربع، وإذا كان طول السواحل المصرية يبلغ حوالى ٢٤٠٠ كم فإن سيناء بمساحتها القلية تفوز بحوالى ٧٠٠ كم أى نحو ٢٩,١ ٪ من طول السواحل المصرية.

وتقع سيناء بين خط عرض ٢٨ جنوبا وخط عرض ٣١,٥ شمالا، أى تشغل ثلاث درجات ونصف من خطوط العرض ، ونرى أن سيناء تحتل أكثر من ثلث امتداد مصر عموما من الشمال إلى الجنوب.

وسيناء صحراء نادرة المطر ، ويأتيها فى هيئة سيول عنيفة ، وأغزر مناطق المطر فى سيناء تقع على الساحل الشمالى ، أما فى الوسط فهى شبه جافة وفى الجنوب يظهر المطر مع ارتفاع الجبال

والسطح ، وتضم معظم التكوينات الجيولوجية وطبقات الأرض والصخور التي توجد في مصر عموما وتزيد عليها.

وتجتمع في سيناء - في نهاية العام - الرياح الشرقية ذات الأمطار الربيعية مع الرياح العكسية ذات الأعاصير الشتوية لذلك يضطرب الجو في سيناء في فصلي الربيع والخريف حيث تكثر العواصف الرعدية والأمطار غير المنتظمة والسيول ، وجوها أقل قارية من جو مصر لكونها محاطة بالبحر من ثلاثة جهات . وتنقسم الجبال إلى ثلاثة أقسام :

١-جبال بلاد الطور .

٢-جبال بلاد التيه .

٣-جبال بلاد العريش .

أولا جبال طور سيناء :

وإليه تنسب الجزيرة كلها ، وفي تقاليد رهبان سيناء أنه الجبل المعروف في "التوراة " باسم "حوريب" أو جبل سيناء ، أو جبل "الله " أي الجبل الذي جاءه موسى النبي وهناك تجلى الرب لموسى [١] وهذا الجبل مؤلف من عدة قمم تدعى جبالا أشهرها "جبل موسى "وجبل المناجاة" ، و"جبل الصفصافة" ، و"جبل القديسة كاترينا" و"الجبل الأحمر" ، و"جبل سربال " ، و"جبل البنات" ، و"جبل أم شومر" ، و"جبل قرين عتوت" ، و"جبل حمام موسى" ، و"جبل

---

[١] نعوم شقير ، تاريخ سيناء ، مرجع سابق ٣٠: ٢٩.

الناقوس" ، و"جبل حمام فرعون "، و"جبل المغارة"، و"جبل سرابيت الخادم " ، و "جبل الصهو" ، و"جبل أبو مسعود" ، و"جبل الحديد".

ثانيا : جبال بلاد التيه :

وأشهرها "جبال الراحة " فى الغرب ، و"جبال خشم الطرف" فى الغرب ، وجبال العجمة فى الوسط إلى جانب بعض الجبال التى تنتشر فى الجنوب مثل جبل (نقب العقبة) وجبال الحمراء وجبال الصفراء وجبال سويقة وجبل عريف الناقة وجبل القنة وجبل الرغام كما تنتشر فى الشمال جبال مثل : جبل الحلال وجبل ألبنى وجبل الأبرقين وجبل تلك وجبل عد أبو قرون وجبل فلى وجبل أم خشيب وجبل إخرم وجبل البرقة.

ثالثا : جبال بلاد العريش :

وأشهرها جبل المغارة وجبل ريسان عنيزة إلى جانب المغارات الكثيرة الموجودة حول هذه الجبال.

أودية سيناء :

وإلى جانب الجبال الكثيرة نجد سيناء تشتهر بكثرة وديانها وعيونها وآبارها وعدودها - ينابيعها وتسمى أحيانا الثمد - كما تنتشر بها الثمايل[1] و المشاش[2] والصنع[3] والسدود

---

[1] الثمايل : جمع ثميلة وهى حفرة قريبة الغور يظهر فيها الماء مباشرة بعد نزول الأمطار ، وانظر فى هذا نعوم شقير ، مرجع سابق ٥٤: ٥٣.

[2] المشاش : جمعه أمشة أى ثميلة قليلة الماء.

[3] الصنع : سد يحفر فى طريق السيول لجمع المياه.

والمكاريع[1] والهرابات[2] والحمامات الطبيعية الكبريتية كحمام موسى وحمام فرعون وأهل سيناء يستحمون فى المياه الكبريتية للاستشفاء من الأمراض الروماتيزمية والأمراض الجلدية.

ومن أشهر أودية بلاد الطور : وادى الإحثا ، ووادى سدر ، عين سدر ووادى وردان ومكون الحماضة و وادى عمارة وحجر الركاب وعين الهوارة و وادى غرندل ورجم حصان أبو ذنه وخط المرازق و وادى وسيط و وادى أثال و عريس ثمان و وادى الحمر ووادى الطيبة و وادى بعبعة و وادى المالحة و وادى سوق و وادى النصب و وادى أم بجمة و وادى الشلال و وادى السيق و وادى المريخى و وادى برق و وادى أم جراف و وادى السدرة و وادى لبن و وادى المكتب و وادى إقنه و وادى الشيخ و وادى السباعية و وادى الشعب و وادى السليف الفوقانى وواد السليف التحتانى و وادى سهب و وادى صلاف ومن فروعة : وادى الدهيسة ثم وادى فيران وبويب فيران و وادى الأخضر ومن فروعة : وادى رتامة ثم وادى عليات ووادى الرمانة ومن فروعة : وادى إقنة الشرايع و وادى الليوة وادى نسرين.

وكما توجد الوديان توجد الوحات مثل واحة فيران وهى واحة عظيمة تمتد من البويب فنازلا فى الوادى نحو خمسة أميال

---

[1] المكاريع : مفردها مكراع وهو البركة بين صخور الجبال.

[2] الهرابات : جمع هرابه وهى بركة صناعية لتخزين مياة الأمطار.

وفى أعلى الواحة غابة الطرفاء كما توجد فى وسط الغابة صخرة عظيمة يقال لها منقدة النعجة ، كما توجد كذلك حديقة فيران وهى حديقة غضة بالنخيل تتخللها أشجار السرو ويوجد بالواحة نبع يسمى نبع فيران ويخرج من صخرة فى أعلى الحديقة ماء غزير وهو أغزر نبع فى الجزيرة ويوجد بها وادى حبران و وادى الملاحة كما توجد الأدوية التى تصب فى خليج العقبة مثل وادى عدوى و وادى الكيد ووادى السمراء و وادى النصب الشرقية و وادى سعال و وادى العين وسمى وادى وتير هو يتألف من أودية شتى و وادى الشيخ عطية ووادى الزلقة و وادى الغزالة ثم نجد وادى السورة و وادى الحيثى ووادى شعيرة الدبس و وادى مرطبة و وادى قديرة و وادى جديع ومن فروع وادى الزلقة نجد بعض الوديان وهى وادى البيار و وادى أبو طريفيه ثم من فروع وادى الغزاله نجد وادى حدرة و وادى طويبة و وادى المصرى و وادى المحسرات و وادى العربة العظيم.

هذا علاوة على وجود أودية بلاد التيه والعريش و التى ترجع أغلبها إلى واديين عظيمين هما : وادى الجرافى و وادى العريش.

ومن أودية وادى الجرافى مشاش الكنتلة و وادى رحية ووادى خميلة النعجة و وادى الأغيدرة و وادى الهاشة و وادى الخضاخض و وادى الغين و وادى أم حلوف ومن أودية وادى العريش الذى يعد أعظم أودية سيناء كلها ويصل طوله نحو ١٥٠ ميلا ومتوسط عرضة ستين يردة وله رأسان : وادى المغارة و وادى حنيف ويلتقيان

قبيل جبل سمى عرقوب الراهب وأهم فروعه : وادى متيقنة و وادى البربرى و وادى البياض و وادى مجمر و وادى أبو لقين وعجرة الملح درب الشعوى ثم ثميلة أم سعيد فخفجة ابن لحمان وغدير الحمارة ووادى أبو عليجانة و وادى أبو طريفية و وادى أبو غريقدات و وادى الرواق ومن فروعه : مسيك العبد و وادى الغبية ثم نجد وادى البروك ووادى العقابة و وادى المشيش و وادى الطيبة و وادى الثمد و وادى الريد و وادى قربة ومن فروعه : وادى خريزة و وادى الأحيقبة وثم وادى مايين ثم نطالع من أودية وادى العريش وادى الشريف وسيل الحضيرة و وادى الجرور و وادى المنبطح ومن فروعه : وادى السيسب و وادى الجايفى ومن فروعه الجايفى وادى قديس و وادى المويلح ووادى القصيمة و وادى الصحبة ومن فروع الصحبة : وادى القديرات وبعد ضيقة الحلال نرى عدة آبار منها عد الروافعة "عد أبو عويقيلة" وعد أولاد على وعد المقضبة.

وكذلك نجد من الأودية وادى الأبيض و وادى العوجاء وآبارها احدى عشرة بئرا ومن فروع العوجاء وادى الحفير ووادى بيرين ومن فروعه وادى حرام وكذلك نجد من الأودية الشهيرة في بلاد التيه الشمالية الغربية وادى المغارة و وادى الحمة ووادى الحسنة و وادى أبو قرون و وادى الجفجافة و وادى الجدى ووادى الحاج ومن فروعه : وادى أبو صوان و وادى الطوال و وادى الجايقى و وادى أبو ينتون ثم نجد من الوديان الشهيرة وادى الراحة

وبئر المرة وبئر مبعوق ومن فروع وادى الراحة فى أعلاه : وادى العشارى ومن فروعه: "فريشات الشيخ " و وادى أبو علاقة ومن فروعه وادى أبو علاقة أيضا وادى أم إثلة[1].

من كل ما سبق يستطيع الباحث أن يصور حياة البدوى وهو يعيش حول هذه الجبال والأودية . إنها حياة قاسية خشنة فرضتها ظروف الحياة الطبيعية ولكن مع العيش وصعوبة الحياة وجدناه يشعل النار ليتدفأ ويتسامر بالليل مع الخلان والأصدقاء ويقول الشعر ويغنى ويرقص على أنغام الطبيعة الساحرة فى شبه جزيرة سيناء المترامية الأطراف.

أهم معادن سيناء :

الفيروز وهو أشهر معادنها ويوجد فى جبال وادى المغارة وفى بلاد الطور وكذلك النحاس ، والذهب ، والحديد والبترول والفحم والينابيع الكبريتية والكبريت والملح والحجارة الجرانيتيه.

وسيناء أرض زراعية تنتشر بها المراعى و المزارع والبساتين ومن أهم أشجارها: النخيل والتين والزيتون والعنب ، الرمان، الأجاص اللوز ، الخوخ ، الخروب ، التفاح ، المشمش ، البرتقال ، الكمثرى ، البطيخ، والكنتلوب ، السفرجل وتنتشر زراعات الخضروات وكذلك

---

[1] هذا ولولا نعوم شقير ما استطلعنا حصر كل هذه الجبال والأودية مع أن الدكتور جمال حمدان قد أشار لمثل هذه الجبال إلا أن الأول قد جمع هذه المعلومات الوافية وحصرها حصرا شاملا.

الدخان العربى كما يزرع القمح والشعير والذرة فى مواسم المطر ومن أشجارها البرية : السدر والأثل والسيال " وتنتشر الأعشاب البرية كالشيح والمرمية واللصف والحرجل والعادر والحمض والعجرم والعضو والحنظل واليهق والإسليح والسيب والسمح والزانون والتمير والحمصيص والبعيثران والخداد والسكران والسبط والرمث والعيلجان والبصيل.

أهم حيوانات سيناء :

الإبل والحمير والغنم والكلاب.

وأهم الحيوانات البرية :

النمر والذى أوشك على الانقراض بل يكاد يكون قد انقرض والذئب ، والضبع ، والغزال ، والثعلب ، والوبر ، والأرنب والنعام ، والأسود ، ولكنها انقرضت من سيناء.

أما أهم طيورها :

الحمام البرى ، السمان ، الحجل ، القطا ، المرعة ، الشنار ، والسنونو ، والنورس ، والورور ، والغزال ، والأرنب البرى ، والبومة ، والعقاب ، والهدهد ، والقبرة ، والنسر ، والدورى ، والغراب.

وأهم الزواحف :

الحياة ، والعقارب ، وأبو شبت ، والثعابين ، علاوة على وجود الفئران ، واليرابيع ، والجرذان.

ومن أسماكها :

البورى ، الدهبان ، الوقار ، القاروص ، وحش البحر ، ثعبان البحر ، اللوت ، الجمبرى ، أبومنقار ، السلحفاء البحرية ، وهذه أسماك البحر المتوسط ، ونجد كذلك السمك الطيار ، والإرش الذى يترواح طوله بين ٢٥- ٣٠ قدما وهما من أسماك البحر الأحمر [١].

أقاليم سيناء :

أتاح الامتداد الطويل لمساحة شبه جزيرة سيناء من الشمال إلى الجنوب أن تنقسم إلى ثلاثة أقاليم جغرافية متميزة هى :

١-إقليم السهول الواسعة بالشمال أو سهول العريش وهو من أكثر الأقاليم ازدحاما بالمدن ومناطق السكان ويضم هذا الإقليم عدة مدن ومراكز وهى بالوظة ، رمانة ، العريش ، الشيخ زويد - رفح وهذا الإقليم يبلغ ثلث مساحة سيناء.

٢-إقليم الهضاب الوسطى : ويضم هضبتى "التيه " والعجمة ، وتمتد هضبة التيه شمالا ويقال أن اسمها أخذ من قصة "اليهودى التائه" فى سيناء.

وتمتد هضبة العجمة فى الجنوب وكل منهما تنقسم إلى ثلاث قطاعات "غربى - شرقى - أوسط " ويبلغ هذا الإقليم حوالى ثلث سيناء أيضا.

---

[١] نعوم شقير ، مرجع سابق ١٠٠: ١٠١.

٣-إقليم الطور : وبه تمتد المناطق الجبلية فى الجنوب ، وهذه المنطقة شبه معزولة على طول التاريخ لذلك كانت منطقة للهرب طوال التاريخ اليهودى ، والمسيحى ، والإسلامى.

سيناء البشر والحياة :

قبل أن نتطرق فى الحديث عن القصص لابد وأن نلم أولا بطبيعة الحياة التى عاشها البدوى وعاداته وتقاليده، ونظم الحياة اليومية ، وأسلحته التى تقيه من الأعداء ، وأهم القبائل التى تسكن شبه الجزيرة ، والمعتقدات التى يؤمنوا بها ، وطرق التقاضى العرفية وملابسهم ، وأدواتهم ، وما إلى ذلك حتى يمكن أن نلم بتفاصيل هذه البادية ونعيش فى جوها حتى يمكن أن نفهم أغانيهم وقصائدهم وقصصهم.

أولا قبائل سيناء :

ذكرنا من قبل أن سيناء على اتساعها شمالا ، ووسطا ، وجنوبا قد سكنتها قبائل متفرقة وقد انتشر البدو فى سيناء كلها ووجدناهم يجتمعون حول العيون والآبار ، ويشربون ويسقون إبلهم وماعزهم وخرافهم ودوابهم وطيورهم ، أى حول الكلأ والمرعى انتشرت القبائل.

إن قبائل سيناء المختلفة تشكل السواد الأعظم بالنسبة إلى مجموع سكان سيناء فتصل إلى أكثر من ٧٠٪ وتنتشر هذه القبائل

لتغطى شبه الجزيرة طولا وعرضا، وشمالا، ووسطا، وجنوبا [1]، هذا ويمكن التفرقة بين سكان سيناء من البدو وبين قسم آخر يمكن أن نطلق عليه أنصاف البدو، وهم أولئك الذين يقطنون بصفة خاصة فى وادى فيران[2].

وكما قلنا إن الفتح العربى والهجرات جعلت الكثير من القبائل تستقر فى بادية سيناء.

ومن القبائل التى نزحت من الحجاز: العايد، والوحيدات، والرشيدات، والرثيمات، والخيارات، والمعازة، والطميلات، وبنو واصل، وبنو سليمان، والعيايدة، والنفيعات، وقد سكنتها فى القديم عدة قبائل منها: الحماضة والتبنة والمواطرة و البدارة. وسكن بلاد الطور عدة قبائل منها العليقات، ومزينة، والعوارمة، وأولاد سعيد والقرارشة، والجبالية بفروعها: السلايمة، والحمايدة، والوهبيات وأولاد جندى.

كما سكنت بعض القبائل فى بلاد التيه وأشهرها: الترابين والتياها الوحيدات واللحيوات وفروعها: الكرادمة والحمدات والمطور والنجمات والحناظلة والكساسبة والسلاميين والغريقانيين ويقال أن أصلهم من قبيلة المساعيد.

---

[1] سالم اليمانى، سيناء الأرض والحرب والبشر، الهيئة العامة للكتاب.

[2] إبراهيم أمين غالى، سيناء المصرية عبر التاريخ.

كما سكنت قبائل بلاد العريش عدة قبائل أشهرها : السواركه وفروعها : العرادات ، الوهيمات ، الجريـرات ، المحـافيظ ، الفلافلـة ، الخناصرة ثم سكنها أيضا قبيلـة الرميلات بفروعها : البسوم ، والشرطين والعوايدة ، والسننة ، والعجالين.

ثم نجد قبيلة المساعيد والتى انقسمت إلى ثلاثة فرق : فرقة ذهبت شرقا فسكنت فارعة السعودى وراء حوران ، وفرقـة ذهبت غربا فسكنت أرض مصر ، وعرفت باسم أولاد سليمان وبقى منها بقيـة فى بر قطية غرب العريش محافظة على اسم المساعيد ، ثم فرقة ذهبت جنوبا وشرقا فسكنت وادى الليف فى البدع من أعمال الحجاز على نحو خمسين ميلا من العقبة وسكنت قبائل العريش كذلـك عـدة قبائل منها العيايدة ، والأخارسة ، والعقايلة وبلى البررة ، وأولاد على ، والقطاويـة ، والبيـاضيين ، والسـماعنة ، والدواعـزة كذلـك تسـكن بعـض القبـائل المستضعفة فتعيش فى حماية القبائل القوية ومنها : الهتيم ، والشـرارت ، ومطير ، ومنهم : الدواغرة ، والعرينات ، والصليـب ، والنـور وكـل هـؤلاء عاشـوا مـع البـدو "بالخـاوة " أى بالحمايـة والتبعيـة للقبـائل الكبـيرة وسكنت قبائل العريش كذلك عدة قبائل منها العيايدة ، والأخارسية ، والعقايلـة ، وبلـى الـبررة ، وأولاد علـى ، والقطاويـة ، والبيــاضين ، والسماعنة ، والدواغرة.

أمـا سـكان مدينـة العريـش فينقســمون إلى : العرايشــية ، والفواخريــة ، ومــن قبـائل العرايشـية : أولاد سـليمان ، الأغــوات ، المماليك ، الكشاف ، الشرفا ، الشرابجة.

أما الفواخرية فينقسمون إلى : الغولة ، والقلعجية ، والسلايمة و الفــيران ، والعطــاوين ، والعبــادين ، وأولاد أحمــد ، والصباحيــة ، والسـحايقة ، كمـا اسـتقرت بسيناء بعـض القبـائل الفلسـطينية نتيجـة الاحتلال الغاشم لفلسطين[1].

ثانيا : صور الحياة اليومية :

البدوى بطبيعته يسكن الخيام أو بيوت يصنعها من جلد الماعز والأغنام تسمى "بيوت الشعر" ويقوم البدوى عادة فـى الصباح البـاكر ، فتشعل البدويات النار وينضجن الفطائر "الخبز" للفطـور ، ثم يشـرب البدوى الشاى أو القهوة ويخرج لرعى الإبل ، بينما الفتيات غالبا ما يخرجن لرعى الماعز والخراف ، ومنهم من يخرج للزراعة ، ولا توجد صناعات معروفة عدا الصناعات اليدوية فتحيك البدوية الثياب الجميلة المطرزة ، بينما يلبس البدوى الجلباب ويضـع علـى رأسه "العقال" أو "العقدة" ، وفى الليل نجدهم يتسامرون على أنغام الربابة ، وضوء النار المشتعلة ، ويشربون الشاى والقهوة ويتسامرون بالليل وذلك بأن يتجمع الرجال فى "المقعد" وهو عبارة عن "عريشة" كبيرة مصنوعة من جريد

---

[1] نعوم شقير ص ١٢١: ١٢٢.

النخيل أو أعشاب شجر العادر والأخشاب ، وقد يغنون ويسهرون حتى الصباح.

ويتسلح البدوى "بالشبرية" ، أو السيف ، أو الخناجر ، أو البنادق، التى استولى عليها من مخلفات الحروب الكثيرة فتحميه من الذئاب والحيوانات الضالة ومن الأعداء المغيرين . وهم يستخدمون هذه الأسلحة كذلك فى صيد الغزلان والأرانب والطيور.

والبدوى لا يحمل ساعة فى يديه بل يعرف الوقت عن طريق الحساب القمرى والنجوم.

كما كانوا يدفنون موتاهم بجانب الأولياء والصالحين تبركا لهم وكانوا - قديما - يعتقدون بزيارة قبور الأولياء ، ويزورون البحر ويذبحون الشياه عنده ، كما يزورون بعض الأشجار ، ويعتقدون بالحسد والإصابة بالعين.

أهم أثاث البدوى :

وأهم أثاث خيامهم وحاجياتهم : المنسف ، الباطية ، القدح الغرابيل ، الصاجلت ، الحلل النحاسية ، الأغطية ، الفرش ، المزاود ، المخالى ، الخروج ، القرب ، الغلايين ، وقد أجمل القرآن الكريم وصف مساكن البدو فى قوله تعالى : "وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها و أوبارها وأشعارها أثاثا لكم ومتاعا إلى حين " صدق الله العظيم وترتدى النساء البرقع الذى يغطى الوجه ، كما تلبس "القنعة والداير" و هما عبارة عن

ثوب أسود مكون من قطعتين ، ويعلقن في أعناقهن عقودا وحليا وأقراطا من الخرز والفضة.

والنساء مولعات بالوشم ، فيشمن الشفة السفلى ، وظاهر اليدين والكفين ، ويثقبن أنوفهن ليضعن "الشناف" وغالبا ما يكون من الفضة أو الذهب.

ويتغنى البدوى بالوشم مغازلا ، يقول شاعرهم - وقد رأى فتاة جميلة متزينة وواضعة الوشم فغازلها فأنشدته:

ولد ياراعى الشقرا بتتلفت علامك
إن كانت تريد الضيفة أرع العرب قدامك

فرد عليها قائلا :

والله ما أريد الضيفة ودى خضار وشامك[1]

فهنا تقول له : إذا كنت تريد أن تتضايف فاذهب إلى أهلى فإنهم يضيفونك لكنه أخبرها بأنه معجب بها وبجمالها.

وغالبا ما يكون الجواز بين الأقارب ، إذ البنت محجوزة لابن العم غالبا، أو أحد أفراد القبيلة - وإن اختلف الآن - ، وإذا أراد أحدهم أن يخطب فتاة ذهب إلى أبيها أو عمها أو أخيها فإذا وافق الأهل ، ووافقت الفتاة - أى أنهم يحترمون رأيها - فإنهم يقومون بعقد الزواج ، وهو ليس موثقا فى سجلات الحكومة وإنما يكون "بالقصلة" وهى عبارة عن أخذ أحد الأغصان الخضراء من أى شجرة فيناولها

---

[1] نعوم شقير ، تاريخ سيناء ، مرجع سابق ٣٧٩: ٣٨٠.

الوالد أو ولى العروس للزوج ويقول له : "هذى قصلة فلانة بسنة الله ورسوله ، إثمها وخطيتها فى رقبتك من الجوع والعرى ومن أى شىء نفسها فيه وأنت تقدر عليه" فيرد الخاطب : "قبلتها زوجة لى بسنة الله ورسوله " ، فإذا ما تم ذلك تقام الأفراح ، وتذبح الذبائح ، وينصب السامر السيناوى ويعزف العازفون على الشبابة أو الربابة أو المقرون أو الأرغول.

والبدوى لا يذهب إلى الحكومة فى شىء إذا حدث نزاع فهناك قانون يحكم البدو يسمى "القضاء العرفى" فكل قبيلة قاض يحكم ويكون حكمه نافذا وملزما ، فهناك "المنشد" ، و"القصاص"، و"العقبى "، والزيادى" ، و"الضريبى"، و"المبشع"، والمسوق" ، و"أهل القطاعات"، و"أهل العرائش" ، و"لحاسة الختوم"، و"الحسباء" ، أو "نقالة العلوم"، وهؤلاء قضاة يحكمون فى قضايا مختلفة فالمنشد مثلا : يعرف "بالمسعودى" ويحكم فى قضايا "تسويد الوجه ، ومس الشرف " بينما القصاص : هو قاضى العقوبات والجروح ، والعقبى : قاضى النساء والزيادى : قاضى الإبل ، والضريبى : قاضى الإحالة ، والمبشع : قاضى الجرائم التى لا شهود لها ، والمسوق : قاضى الإبل ، وأهل القطاعات : قضاة الزراعة ، وأهل العرائش : قضاة النخيل ، ولحاسة الختوم: هم المشايخ المعينون من قبل الحكومة لأنهم يستخدمون "الختم"بلحسه.

والحسباء : هم أهل الخبرة فى المسائل التى تتعلق بتقاليد العرب.

والقضاء صارم جدا فإذا لم يلتزم به المحكوم عليه طرد من القبيلة كلها ، وغالبا ما يحترم البدوى ما يحكم به القاضى ويوفى بما حكم فإذا لم يستطيع الوفاء وفي بها أهله أو قبيلته أو الكفيل الذى يتكفل بالوفاء.

وأخيرا لقد عرضنا لصورة عامة ، موجزة ومختصرة ، لحياة البادية فى شبه جزيرة سيناء وكان الأجدر أن نتوسع فى رسم هذه الصورة خاصة إذا علمنا أن الكثيرين لا يعلمون عن سيناء وأهلها إلا أقل القليل ولكن هذا الأمر يحتاج منا إلى مجلدات ضخمة ، وقد رأينا أن نعرض هنا لهذا الجزء المختصر لحياة أهل البادية حتى يمكن أن ندرس الأدب البدوى المتمثل فى القصص التى نعرض إليها فى بحثنا هذا ، إذ لا يمكن لأى باحث أن يدرس الأدب بمعزل عن المجتمع..

في بداوة سيناء

تهتم الدراسات الميدانية بالجمع الميداني لمادة الجمع من بيئته التي نشأ فيها ، و لا تعنى هذه الدراسات عادة بتحديد المصطلح وتعريفه ، إذ أن أمر تحديد المصطلحات - إلى الآن - لم يتفق عليه الباحثون والعلماء اتفاقا يجزم بتوصيف تلك المصطلحات بصفة نهائية لذا لم أتعرض لمفهوم كلمة فولكلور FOlKlOre ، كذلك لن أتعرض لمفهوم المأثورات الشعبية ، أو كلمة الموروثات الشعبية ، ولكن سأقتصر فقط على كلمة تراث دون التعرض - أيضا - لمعانيها المختلفة ، وسأكتفي بالإشارة بأن هذه الكلمة : تعني في هذا البحث بالقديم المأخوذ عن الأجداد والأسلاف من قصص وحكايات وشعر وأمثال وحكم تختص بالبدو في منطقة بادية سيناء.

"ونعني بالتراث القصص عن بدو سيناء"، هو تلك الحكايات ، والقصص النثرى والشعرى الذى أنتجته قريحة البدوى في بيئته ، أو تلك الأحداث التى مرت بالمجتمع أو بفرد بعينه فرواها لأقرانه وجيرانه في جلسات السمر على التسلية والترويح عن النفس من جانب ومن جانب آخر على سبيل الحكمة والموعظة وبث روح المثل والاقتضاء بما كان من أفعال خارقة أو بطولية غرضها بث روح الفضيلة بين أفراد القبيلة والمفاخرة بالبطولة والشجاعة من جانب الشخص

الراوى أو البطل فى تلك الحادثة أو القصة ، فقد يحكى الراوى أو الفارس قصة شجاعته فى صرع ثعبان هاجمه ،أو حية رقطاء أرادت النيل منه ، أو قصة حب دارت بينه وبين فتاة ، فلاقى الأهوال من أهلها وذويها ، أو قصة انتصار على قبيلة من القبائل ، أو قصة صراع مع ذئب أو نمر أو حيوان مفترس ، أو قصة عن حكم قضى فيه القاضى العرفى فى جريمة ما أو حادثة معينة أو غيرها من القصص التى تزخر بها البيئة البدوية.

ومهما يكن من واقعية أو خيالية هذه القصص ، فإن السمة الغالبة عليها هى مدى حنكة الراوى فى إقناع المستمعين ، ومدى استجاباتهم لما يرويه.

ويبدو أن القصص أو الحكايات فى بادية سيناء كلها مستمدة من البيئة وتدور أغلب موضوعاتها فى الصحراء حيث الجبال والوهاد والسهول والكهوف ، حيث الجمال والخيول والسيوف ، أى أن موضوعاتها مستمدة من واقع الحياة القبلية ببداوتها وصحراويتها ، وما طبعته عليها من سمات خاصة تتسم بها بادية سيناء.

وإذا عرفنا أن البدوى لم يتلق تعليما خاصا فى مدارس نظامية ، ولم يذهب إلى معاهد ، أو كاتدرائيات ، أو جامعات ، لأدركنا أن الفطرة والعفوية هما الصفتان الملازمتان له ، فيما يحكى وفيما يقص ، وهذا يدلنا على أنه لا يتوخى الصيغة اللفظية عندما يتكلم ، فتكون سجيته بفطرتها هى التى تحكى وتقص ، فتخرج كلماته متسقة

والبيئة التى يعيشها ، وباللغة التى تتكلمها قبيلته ومجتمعه القبلى ، ولكن تبقى المفارقة الخاصة فى أن الهدوء وسحر الصحراء وخشونة الحياة قد أعطت للبدوى الحذق والذكاء وحصافة الرأى وحسن تدبير الأمور والفراسة فخرجت كلماته وأشعاره وحكاياته قوية المعنى والمبنى ، بل وضاربة فى أصول البلاغة العربية ، وليس معنى ذلك أن تخرج سهلة وسلسة ، بل أننا يمكن أن نجد فيها خشونة ، ومعاظلة ، وغلظة ، وحوشية ، تختلف عن اللهجات المحلية الأخرى التى لا تعيش حياة الصحراء الخشنة ، ومع هذا وجدنا دقة الوصف ، وجمال الحكى ، والرقة المشوبة بالخشونة فى أحايين كثيرة ، علاوة على عمق المعنى وشرفه ، وتلك أوصاف نابعة من طبيعة عادات وتقاليد البادية الأصلية.

فلا غرو أن نجد الحذق فى نظم الشعر ، والعذوبة فى القص والحكى وروعة الانتقال من غرض إلى غرض علاوة على جمال الاستهلال والدقة فى إحكام المعانى وانتقاء عناصر التشويق وحسن الخاتمة.

كل ذلك وغيره وجدناه فى أسلوب البدوى الذى لا يعرف القراءة والكتابة ولكن يتسم بذاكرة ثابتة جادة حافظة فانتشرت الألوان الأدبية شفاهة قبل وبعد عصر التدوين وظهور الكتابة والرسم وانتشار الخط العربى وتطوره على مر العصور .

والقصص فى البادية تنشأ بسبب حادثة معينة ، وتحتاج عندما تتناقل عن طريق الحكى - مشافهة - أن تنتقل بحرفيتها ، كما حدثت ولأن أسلوب القص يختلف من إنسان لآخر حسبما أعطاه الله له من ذاكرة التجأ البدوى إلى صياغتها فى قالب شعرى ، لأن الشعر فيه نغم وموسيقا ، والأذن العربية تحفظ الكلمة المنغمة المموسقة أسرع مما تحفظ الكلمة المنثورة ، فكانت القصص تروى شعرا ، أو يكون الشعر فيها له الحظ الأوفر ، لذا نرى أغلب القصص تنتهى بقصيدة ، أو تأتى داخلها أبيات من الشعر ، فتكون هذه الأبيات سببا من أسباب حفظها وسرعة تداولها وانتشارها على مر الأجيال والعصور ، وفى نظرى أنه يعزى إلى الشعر الفضل فى بقاء هذه القصص والحكايات ، وأبرز دليل على ذلك أن ما وصلنا من الشعر الجاهلى قليل فإذا بحثنا فى هذا القليل الذى وصل إلينا فإننا سنجد أغلبه يتحدث عن واقعة معينة ، أو قصة حدثت وتخللها الشعر ، فتناقلتها الذاكرة الشعبية فانتشرت وتداولت من الأجداد إلى الأحفاد ، ووصلت إلينا كما حدثت فى بناتها ، وإن اختلف أسلوب الحكى قليلا وذلك ناتج من اختلاف الذائقة السمعية الشفاهية على مر العصور والأزمان ومدى ما تعرضت له هذه الجماعات والقبائل من أحداث ومواقف غيرت فى أساليب هذه الذائقة الشعبية ، ومع ذلك ظل القص سواء أكان شعرا أم نثرا موجودا فى الذاكرة المرجعية على الأقل لهؤلاء وذلك لارتباطه بقيم وعادات وتقاليد أصلية أرستها الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من

قديم الأزل فغدت قانونا وشريعة للبدو سنها الأقدمون وسارت على هديها الجماعات والقبائل فى كل العصور وإن اختلفت قليلا حسبما تقتضيه ظروف البيئة والواقع المعاش ، فكانت تلك العادات والتقاليد والطبائع دينا يدين به البدو ومن يخرج عن هذا الطوق فإن القبيلة تتخذ فى شأنه أساليب للردع كفيلة بعودته وتراجعه عن هذا الفعل أو اتخاذ أقصى العقوبات التى استنها القانون العرفى المسمى بالقضاء العرفى فى مثل هذه المواقف.

لذا فى نظرى كانت عالمية قوانين البدو نابعة من ذلك الحرص على اتباع شريعة البدو التى تدين بها كل القبائل دون استثناء ، فكان للقانون البدوى احترامه ، وللقاضى العرفى مهابته وحكمه النافذ على الفرد والقبيلة ، فكان المجتمع على بداوته مجتمعا منظما له قوانينه الخاصة التى تحكمه و التى تكفل الأمن والسلامة لكل فرد فى أنحاء البادية الأخرى المترامية الأطراف.

إن قوما يحكمهم قانون وتنظمهم عادات وتقاليد تحترم الفرد والجماعة والجيران وتشيع العدل والإنصاف بين الحاكم والمحكوم والظالم والمظلوم لهم قوم أجدر بالاحترام ، وأنصف بأن نصفهم بالتمدين والحضارة والحداثة ، ولكن باستقراء طبيعة حياة البدو وتتبع عاداتهم وتقاليدهم وقضائهم ومدى عدلهم وإنصافهم للفرد الإنسان كفيل بأن يطلق عليهم بأنهم متحضرون وليسوا همجيين ، وبذلك لا يمكن أن نصفهم بالجهل وعدم التحضر ، فالحضارة ليست فى الأخذ

بأسباب التمدين والحداثة فحسب ، ولكنها فى الأصل تقوم على قيم وتقاليد وأصول ضاربة فى الأصالة والعراقة ، فليس الشكل هو الجوهر فى الحكم على مجتمع ما بالتخلف ، وإنما الجوهر والمضمون فى الحكم يكون بالنظر إلى القيم والقوانين التى تنظم العلاقة بين الفرد والجماعة وبين الجماعات والمجتمعات ، ومن هنا يكون نشوء الأمم وتمدين الحضارات والشعوب . وليس معنى هذا إننى أتعصب للبداوة فالبدو - الآن - يأخذون بأسباب الحضارة والحداثة والتحديث ، وظهر مجتمع يأخذ من الأصالة بأسبابها ، ومن الحداثة بأسبابها ، ومزج بين هذه الأصالة والمعاصرة فظهرت الحداثة فى شكل معيشته وإن احتفظ بشكل المعاصرة ورفض الكثيرون من البدو الأخذ بأسباب المعاصرة وفر ببداوته عبر الصحراء بعيدا عن زحف الحداثة بتطوراتها المتلاحقة.

وشبه جزيرة سيناء وباديتها - الآن - هى من ذلك النمط الذى بدأت الحداثة تزحف بمدينتها على الصحراء ، فترك البدوى جمله وركب السيارة ، وهدم خيمته وعريشته واستبدلها بالعمارات الأسمنتية ، وشق الطرق وأدخل المياه والكهربا وانتشرت فى أعماق الصحراء أجهزة التلفاز ومقومات الحداثة ، وتعرف إلى عوالم أخرى كان يجهلها ، فبدأ بالتقليد والمحاكاة لأهل المدينة ، فى ملبسه ، ومأكله ، وطريقة كلامه ، وعاداته وتقاليده ، وخضع لقوانين الدولة والمدينة بعد أن كان خاضعا للقانون العرفى فتغيرت شكل البادية ، ولم

يعد الكثيرون يلتفتون إلى ذلك الموروث الهائل الذى خلفه الآباء والأجداد فاندثر الشعر البدوى وغابت القصص والحكايات ، وانتهى السامر السيناوى ، ولم يعد البدوى يشعل النار فى الليل ليتسامر ، بل أصبح يسهر على جهاز التلفاز ويستمع للمذياع ، وينصاع للحداثة والمعاصرة ، فغاب التراث واندثرت العادات والتقاليد ، ومات الأجداد والأسلاف من حفظة هذا التراث الخالد ، وأنهمك الأبناء فى ملاحقة الحداثة وتقنياتها ، وطمست معالم البادية القديمة.

وجاء الاستعمار إلى هذه البادية فغير من ملامحها ، وعمل إلى طمس هويتها بل و إلى تحويلها إلى مستعمرات تخضع لسيطرته، فحاول تجنيد البدو وإغرائهم بالمال والنساء ، بل وكان الاستعمار جريئا جدا فحاول أن يطمس الانتماء لدى أبناء سيناء ، بدوها ، وحضرها ،وذلك بأن يعمل على تدويل سيناء ، فحشد الصهاينة أخيرا حشودهم واستمالوا البدو للاعتراف أمام العالم أجمع بانفصالهم عن مصر ، فكان مؤتمر الحسنة ، الذى روجوا له عالميا ودعوا إليه الصحافة ووكالات الأنباء ليعلن البدو انفصالهم عن مصر واستقلالهم بدولة تكون مقرها سيناء ، إلا أن هؤلاء البدو كانوا متسلحين بدينهم وعاداتهم وتقاليدهم العربية الأصيلة وبانتمائهم الوطنى ، فلم تفلح محاولات الأعداء فى المزايدة على وطنهم ، ورفضوا أمام العالم أجمع انفصالهم عن مصر إلى الأبد . هؤلاء هم بدو سيناء أصحاب المواقف ، وأصحاب التاريخ العريق ، فهل بعد ذلك يمكن أن نصف هؤلاء البدو بالجهل

والتخلف وبأنهم رجعيين ، وهم يحملون فى داخلهم مقومات إنسانية خالدة من حق وخير وجمال وقيم أصلية تفتقر إلى الوصول إليها أكثر المجتمعات تمدينا وحضارة.

إن التشدق بمسألة التحضر والتخلف ، ومسألة أن هذه دولة نامية، وتلك دوله متمدينة ومتحضرة ، لهو من سبيل المخطط العالمى الإمبريالى الصهيونى الغربى الذى يريد النيل من تراث العرب وقوميتهم وحضارتهم ولغتهم ودينهم على مر العصور والأزمان ، وكأن هؤلاء قد نسوا بأن العرب هم الذين علموا الغرب الحضارة والتمدين وأن الضعف الحادث الآن فى كيان وجسد الأمة العربية والإسلامية لن يستمر طالما أن فى هذه الدول شعوبا وحكاما تستقى بقائها من مرتكزات حضارية ودينية وثقافية ضاربة فى العراقة والأصالة وما الحداثة وتحدياتها الموجودة الآن إلا من أسباب الفتوحات العربية الإسلامية التى امتدت إلى الصين وشملت أوربا كلها وذلك قبل نشوء أمريكا التى تتصدر - الآن - دول العالم وتتشدق بتقدمها وأصالتها.

ولقد نسى الغرب أن أمة عمرها سبعة آلاف عام سابقة على حضاراتهم التى تمتد إلى ثلاثة آلاف عام ، وقد انتبه هؤلاء أخيرا إلى مسألة الأصالة فاحتفلوا بالألفية الثالثة بينما يحتفل العرب - الآن - بالألفية السابعة والمقارنة تكون بالتالى بعيدة جدا.

أسلفنا من قبل أن سيناء أرض القداسات تعاقب على سكناها اليهود إلى جانب المسيحيين فى الجنوب وعاشوا جنبا إلى جنب مع البدو المسلمين فلا غرو أن تختلف المعتقدات من عصر إلى عصر ومن زمان إلى زمان ، وما يهمنا فى هذا الكتاب هو معتقدات البدو الشعبية وتفكيرهم وخرافاتهم ودينهم ويصعب الفصل هنا بين العادات والتقاليد وبين المعتقدات إذ يعتبر المعتقد يخص الجانب الدينى والروحى والسلوكى الخاص بتفكير هؤلاء البدو وبالتالى يصعب الفصل بين السلوك العلمى وبينما يفكر فيه البدوى وما يعتقد به ، وعلى أية حال فسنركز هنا على الموروث الحياتى لأولئك البدو حتى يمكن أن نستخلص منه طرائف التفكير وصدق العقيدة التى يؤمن بها البدوى.

وفى البداية لابد أن نعرف أن بدو سيناء متدينون بطبعهم يدينون بالإسلام كدين ، وإن كان بعضهم يكنى مسلما ، لكن لا يصلى إلا نادرا ، ولكن مع ذلك يؤدى أغلب الأركان فهو متدين بطبعه يقدس حقوق الآخرين ويحترم آدميتهم ، فكان النزوع إلى إفشاء العدل وإحقاق الحق وإن غلبت هذه النزعة بعض سمات قبلية تمثلت فى المثل البدوى القديم : "انصر أخاك ظالما أو مظلوما" فكان النصر

هنا بدافع قبلي يمتد إلى النسب والقرابة ، وإن جنح أغلب البدو إلى التعقل وعدم التهور في الغالب.

وإلى جانب الدين نرى البدو ويعتقدون في كرامات الأولياء الصالحين فيتبركون بهم لنيل كراماتهم ، وينذرون النذور ويذبحون الذبائح عند قبور هؤلاء الأولياء اعتقاد منهم بأن ذلك سببا من أسباب قبول النذور ببركة هؤلاء الأولياء الصالحين كما كان البدو - قديما - يقدسون بعض الأشجار ويتبركون بها ، وكذلك بالأحجار ، فكانت الرجوم ، والقبور ، والأضرحة ، شواهدا على هذه المعتقدات التي نشأت بين البدو.

كما كانوا يعتقدون بوجود أولياء مفسدين وكانوا يرجمونهم بالحجارة ويصبون عليهم الشتائم ومن هؤلاء المفسدين "مصبح الوالي المفسود" على درب الحج المصري في وادي المشتي و "عمري" الوالي والمفسود في أعلى "وادي الأبيض" على بعد ١٠ أميال من خرائب "العوجاء" على درب "غزة" وكانوا يرجمونهم بالحجارة اعتقادا منهم بأن ذلك هو عين الصواب تشاؤما تارة ، واعتقادا بأنهم يفعلون ذلك حتى لا تصيبهم الأرواح الشريرة بالأذى تارة أخرى . وكانوا يزورون القبور في المواسم والأعياد ، ويدفنون موتاهم بالقرب من قبور هؤلاء الصالحين تبركا بهم وشفاعة لموتاهم ، كما كانوا يبنون فوق هذه القبور أضرحة ، وقبابا ، ومقامات ، ويقومون بتقديم الذبائح من ماعز وإبل وأغنام شفاعة للميت من جانب ، ومن جانب آخر وفاء

لنذر أو تمنيا لقضاء حاجة أو شفاء مريض أو زكاة عن أنفسهم وراحة لأجسادهم وأبنائهم وأحفادهم.

وفى سيناء تتناثر قبور الأولياء بالعشرات ، إذ أن البدو عندما يموت لهم شيخ صالح كانوا يبنون له ضريحا وقبة ومقاما اعتقادا بصلاحه ، كما كانوا يذبحون للأنبياء ، ومن الأولياء الأنبياء الذين يتم الذبح لهم وإقامة شعائر الزيارات فى المواسم والأعياد : النبى "هارون" ، والنبى "صالح" ، والنبى "أبو طالب" والنبى "موسى" ، وهؤلاء فى طور سيناء . كما كان بدو سيناء يتبركون بالبحر وزيارته ، ويذبحون له الذبائح ، ويعقدون عنده خيامهم ، وخيولهم وإبلهم وأغنامهم ، ويذهبون إليه فى أوقات معينة من السنة ، ثم يقومون بأخذ جلود ورؤوس وأرجل هذه الذبائح فيقذفونها فى البحر قائلين : "هذا عشاك يا بحر" ، ثم يقومون بطبخ باقى اللحم فيأكلون منه ويطعمون المارة ، وهذا يحدث غالبا فى مدينة العريش مرة كل عام يوم الأربعاء قبل "شم النسيم" ، ويسمى" "أربعاء أيوب" ويقال أن "أيوب" - عليه السلام - شفى وبرء من الأمراض عندما اغتسل فى البحر المتوسط فى العريش . وفى أربعاء أيوب ينزل الرجال للاستحمام فى البحر من الصباح وحتى قبل العصر ، وتنزل النساء بملابسهن من قبيل غروب الشمس حتى بعد المغرب ، وهم يفعلون ذلك إما للشفاء من مرض معين ، وإما للتقرب من الله والدعاء بشفاء النساء من العقم حتى يتم الحمل وإنجاب الأطفال ، وقديما يحتفل السواركة والبياضين

والأخارسة بهذا اليوم غير أن السواركة : يتمون هذه الزيارة بدون احتفال ويذهبون من المغرب إلى صباح اليوم التالى ويذبحون فى أى مكان على شاطئ البحر بين رفح والعريش وليس عند ضريح "النبى ياسر" بالعريش غير أن البياضين والأخارسة من سكان "قطية" كانوا ينزلون البحر عند "المحمديات " بالقرب من مدينة الفرما فيحتفلون بأربعاء أيوب احتفالا خاصا فيقيمون الزينات ، ويتسابقون على النخيل والهجن ، وتستمر الاحتفالات لمدة ثلاثة أيام ، وكان هذا فى القديم ، أما الآن فإن الاحتفال يكون بذهاب بدو سيناء وحضرها بعد صلاة الظهر وقرب صلاة العصر إلى البحر يستحمون ويذبح منهم من يذبح تقربا لوجه الله ثم لا يرمون جلود هذه الذبائح ولا أى شىء منها فى البحر بل يوزعونها لوجه الله تعالى ، إلا أنهم ما زالوا يعتقدون "فى حمل النساء" اللاتى لا يحملن إذ ذهبن واستحممن فى يوم أربعاء أيوب.

ومثلما يعتقد البدو بالبحر ويزورونه ويقدمون له الذبائح فإنهم يفعلون ذلك مع الشجر فيزورونه تبركا ، ففى مدينة رفح تزور النساء شجرتا سدر تدعيان "المقرونتين" ويقال لكل منهما "الفقيرة" ، فكانت النساء تكرمن هاتين الشجرتين وتنذرن لهما النذور ومتى جئن للزيارة وضعن شيئا من آثارهن فيها وأنرنها بسرج الزيت كما يفعل البدو كافة عند زيارة الأولياء ، كما وجد بطريق "لحفن" غابة صغيرة من شجر "الطرفاء" تدعى الفقيرة - أيضا - يزورها العرب للتبرك بها وهم ينيرونها

ويودعون عندها حبالهم وأشياءهم ، كما يوجد في صحن قلعة نخل شجرة سدر قديمة كان الأهالي يعتقدون بأنها "ولية " وينيرونها بالسرج ويذبحون عندها.[1]

كما كانوا يتقربون "للقبور" إذ أن أصحابها ذوى كرامات ففى وادى "صلاف" بالقرب من ملتقى رأسيه يوجد قبر الشيخ "رزة" فى جبانة أولاد سعيد ، فإذا فقد لأحدهم حمار أتى إلى هذا القبر وقال : يا شيخ رزة أنا داخل عليك ، تحمى حمارى من الضياع ، ثم يشرب القهوة عنده ويقرأ الفاتحة وينصرف فلا يلبث أن يجد حماره.

وكان البدو يعتقدون أن الأرواح تجتمع فى "بير القدس" إلى يوم الحساب فيذهب الصالحون إلى الجنة ، والأشرار إلى النار ، وحكى الشيخ "سليمان معيوف" من الرميلات قال : قيل لبدوية فجعت فى ابنها أن روحه فى بئر القدس فذهبت إلى البئر ووقفت عند فمها ونادت ابنها باسمه فأجابها الصدى فلما سمعت الصوت ظنت أن ابنها يجيبها فرمت بنفسها فى البئر وماتت ، ومن ذلك الوقت وضع البدو شبكة من الحديد على فم البئر وهذه البئر هى بئر "الورقة" فى "هيكل سليمان" الذى حوله الإمبراطور "يوستينيانوس" إلى كنيسة ثم حوله المسلمين إلى الجامع المعروف الآن بالجامع الأقصى[2].

---

[1] نعوم شقير ، مرجع سابق ، ٣٥٣: ٣٥٤.

[2] نعوم شقير ، مرجع سابق ، ٣٥٥: ٣٥٦.

ومن عاداتهم فى التبرك أكل اللحم عند ختن "الأولاد"، فنراهم يعلقون رؤوس الذبائح فى أوتاد ويتبارون فى رمى هذه الرؤوس بالرصاص وكل منهم يطلق رصاصة فإذا أصاب رأسا أخذه وأخذ معه فخذا وتسمى هذه الفخذ "طعمة البارودة" تبركا بختن الولد وافتخارا بالحذق والمهارة فى الرماية.

وفى "معتقداتهم الطبية" عندما يصاب أحدهم بجرح فى غزوة أن يتم كيه بالنار أو يخيطون الجرح ويغسلونه كل يوم بمستحلب "روث الحمير" مدة أربعة أيام ، ويغلون البصل بالماء ويصفونه ، ويغسلون به الجرح ويسقون العليل منه لمنع تعفن الجرح ودفع أذى الرائحة ثم يغلون "المر" بالسمن ويجعلونه دهانا فيدهنون به الجرح أربعين يوما حتى يبرأ ، كما يقومون بتبخير المصاب بالحمى بشعر الضبع أو بجلد القنفد ، وتقوم النساء بحرق صغار العقارب وصحنها ويرشون منها على حلمات أثدائهن عند إرضاع الأطفال تطعيما لهم حتى لا يؤذيهم لسع العقارب[1].

ولا شك أن الجهل والأمية وعدم وجود أطباء علاوة على الفقر كان سببا من أسباب انتشار الخرافة وتأخر هذه الجماعات وعدم مواكبتها للتقدم ، وإن اهتم البدو بالزراعة إلا أن هذا الاهتمام كان نابعا من أجل القوت اليومى له ولأولاده . والبدو يعتقدون "بالحسد" وإن عين الحسود تصيب لذا يتم رقى الأبناء بتعليق خرزة زرقاء فى

[1] نعوم شقير ، مرجع سابق ، ٣٩٤ : ٣٩٥.

أعناق الأطفال ، حتى الإبل والماعز يعلقون فى أعناقهم هذه الخرزة اعتقادا منهم بأنها تنجى من العين كما يتشائم البدو من عواء الكلب من بطنه ، كذلك من رعاء الإبل ، ويتفائلون بيوم الجمعة وفلج السن والسفر يومى الجمعة والاثنين ، كما نراهم فى رؤية الهلال يهللون ويقولون : "ياللى سلمتنا فى اللى زل ... سلمنا فى اللى هل ... يا الله حلوية ، يا الله جلوية ... يا الله دعوات أولاد الحلال".

كما يتم رقى الأغنام حتى لا يصيبها حسد ، أو ذئب جائع أو ضبع أو سبع أو نمر ، ويقولون فى مثل هذه الحالة : "معزانا كورة كورة عليها قطيفة الله منشورة " ، إذا جاء من الوادى لجامه هادى ، وإذا جاء من العدوة لجامه هدمه ،وإذا جاء من الباطين لجامه شريط ، وفى آذانه فاس ، وفى خشمه فاس وفى ايده فاس ، وفى رجليه فاس ، نرميه فى البحر الدواس ، بيننا وبينه الخلة ، وسبع جمال محملة غلة"

وهم يفرحون عندما يولد صبى ويتكدرون عندما تولد صبية كما يتبركون ببعض الأحجار ويزورونها يتبركون ببعض القبور والأضرحة ، فيتباركون بالشيخ "الفالوجى" ، و "يالنبى ياسر" ، و"البراقين"، و "الشيخ نصار " والشيخ "عيد أبو جرير" ، و "الشيخ جبارة" ، و قبة الشيخ "عبد الله" ، وغيرها.

إلا أن أكثر البدو وحتى الحضر عندما تسألهم عن أصول هؤلاء الشيوخ فإنهم لا يعرفون هؤلاء ، ولا يعرفون إلا أنهم من أولياء الله الصالحين ، حتى تسمية بعض الإبل يدخلها الخرافة ، ومن هذه

التسميات تسمية الإبل الأصلية "بالزريقى" ، ويحكى أن راعيا فى قبيلة العبابدة كان يرعى إبل سيده فى أحد الأودية، فهب إعصار على ناقة من نياق سيده فألقحها فولدت قعودا ، ولم يطلع على السر سوى الراعى فانتظر حتى حان أوان أجرته وهى على عادة العرب "مفرود - ولد الناقة - يختاره من إبل سيده فجعل شوكة تحت لسان القعود الذى هو ابن الناقة التى ألقحها الإعصار ، وكان لون القعود يميل إلى الزرقة فأسماه "زريقان" فلما بلغ أشده أعلن خبره وأذاع سره فرغب فيه البدو والقحوا نيلقهم منه فكان نسل زريقان ، وهذه الرواية تدل على مدى تصديق العرب للخرافات وأن الناقة يمكن أن تحمل من إعصار أو شىء آخر.[1]

والبدو يقيمون بجانب القبور "رجوما" من الحجارة لمعرفة مكانها وقد يقيمون هذه الرجوم عند بعض الأشجار للنهى عن قطعها لما تحمله من قداسة ، ودفعا للأذى الذى قد يصيب من يقطع هذه الأشجار ، كما يعتقدون.

إن بعض هذه الأشجار تقطعها الأشباح أو أنها نمت نموا شيطانيا مثل "العادر" فلا يقربونها فى الليل وتصبح مصدرا للقصص الخيالية كقصص الأشباح والعفاريت.

كما يعتقدون فى "النجوم " ويهتدون بها ، ففى أول الخريف عند مطلع نجم "سهيل " ينزل القمر "العقرب" وهو ابن ليلة فيسمى

[1] نعوم شقير ، مرجع سابق ٩٣ : ٩٤.

"القران" ، "قرين ليلة" ، وفى الشهر التالى ينزلها وهو ابن ثلاث فيدعى "قرين ثلاث "، وفى الشهر الثالث ينزلها وهو ابن خمس فيدعى "قرين خمس" ، وفى الشهر الرابع ينزلها وهو ابن سبع فيدعى "قرين سبع" وهو فى أول الشتاء ، وفى الشهر الخامس ينزلها وهو ابن تسع فيدعى "قرين تسع" وفى الشهر السادس ينزلها وهو ابن اثنتى عشرة ليلة فيدعى "قرين (١٢)" ، وفى الشهر السابع يعود إلى دوره الأول فينزل العقرب وهو ابن ليلة فيدعى قرين ليلة ويخرج منها وهو ابن ثمانى وهكذا، والبدو فى ليالى القران السبع من كل شهر لا يسافرون ولا يغزون ولا يباشرون عملا جديدا إلا مضطرين لأنها فى اعتقادهم ليالى شؤم خصوصا الليلة السادسة إذ يكون القمر فى "الشوكة" وفى هذا يقول شاعرهم :

أحثــك مــن العقــرب وشــولتها

ولـو فـاتك مـن الـرزق كـل مطلـوب

سـيفى هـرب علـى عرقـوب نـاقتى

وخلـى دماهـا ع الحمـاد كبـوب[1]

وأما الليالى التى لا يكون بها قران فلا يتشاءمون منها ومن ذلك قول شاعرهم :

---

[1] نعوم شقير ، مرجع سابق ، ٣٥٧ : ٣٥٨.

ليــــالى عشـــــار الصيــــــد ولادة

ليـــالى ســـعايد مـــا بـــهن قـــران

وأسمـاء الجـهات الأربـع عندهـم هـى : الشـمال أو البحـر ، القبلى ، والشرق ، والغرب.

وهم يعتقدون فى الوشم ، ويعـدون جمـال المـرأة فـى الوشـم مع أن الرسول (ﷺ) نهى عـن الوشـم فقـال (ﷺ) : "لعن الله الواشمة والمتوشمة" ، وعندهم الوشم من الجمال ، يقول شاعرهم :

يـــا بنــت يـــا للـــى هالعـــة باللثــــام

يلـى تخطـى ع الحنـك حـــبر ووشـام

يـــا للـــى تقولـــوا وصفنـــا مطـــر شـــاتى

حـب الـبرد بيـض الثنايـا ولـو قـام

مســهى برمـش العـين رقـد الحمــام

وتقـول موجوعـا علـى نعـاس لونـام

ويعتقد البدو أن الحداد على الميت فرض واجب على النساء ويمتد الحداد أربعين يوما إلى سنة كاملة ، لا تلبس فيها المـرأة الحلى أو ثوبا جديدا بـل يتشحن بالسواد ، ويخلعن البراقع ويتلثمن بخرقة سوداء ، ولا تخرج النساء إلى زيارة أو فرح ، ثم يقومون بترك ثـوب من ثياب الميت فوق قبره فيأخذها عابر ، أو تبلى ، ثوابا للميت.

إذا أراد أحد البدو أن يشهد أحدا على شيء وقع في حضوره ثم يقوم بعقد عمامته ويقول له : "هده شهادة معك تضوى وياك في المراح ، وتمشى فى المسراح توكلة وأمانة".

وتكثر المعتقدات في بادية سيناء ، ودليل هذه الكثرة انتشار الخرافة وسذاجة الكثيرين الذين يصدقون كل حادثة إلا أن الكثيرين من العواقل والشيوخ لا يعترفون بمثل هذه الخرافات ويعدونها جهلا وبدعا.

ولا شك أن مجتمعا تكون فيه العقيدة مزعزعة غير راسخة وتقل فيه تعاليم الدين الأصلية لهو مجتمع فطرى منغلق تسوده الخرافات ويعم على عقل أبنائه الجهل ، ومع ذلك لا يمكن أن ننفى وجود عقول راسخة مفكرة وشعراء مجيدين وشيوخ عقلاء يوجهون الناس وينهونهم عن مثل هذه الخرافات ، ومع هذا فإن البدوى قديما يعترف بالخرافات ويعتقد بكرامات الأولياء والأشجار والأحجار ويتشائم ويكره ويحب حسبما اكتسب من خبرات ، وحسبما رأى أهله وذويه يفعلون ذلك ، فالفطرة تعم ، والطبع يغلب التطبع ، وهذا حال البدوى فى القديم ، أما الآن بعد دخول المدينة إلى سيناء ، وزحف الحداثة والتكنولوجيا إلى الصحراء ، ودخول أبناء البدو المدارس والجامعات لم يعد البدوى يذهب للعراف ليسأله ، أو شيخ القبيلة فيستفتيه ، إذ ان العلم أنضجه فعرف الحق من الباطل ، وعرف الحقيقة من الخرافة فتشبث بالعلم ، وتعقل وبدأ يذهب للطبيب ليعالجه ، وابتعد عن

الوصفات البلدية المجربة ، والخرافات المستعملة ، فخفت دور شيخ القبيلة ، وخفتت الخرافات وإن بقت العادات والتقاليد النبيلة كحسن الضيافة ، وإقراء الضيوف ، والكرم ، وحب الفروسية ، وقل التعصب واختفى المثل القائل : "انصر أخاك ظالما أو مظلوما" ، فعرف البدوى إن كان أخوه ظالما فإنه يجب أن يكفه عن الظلم ، وبذلك بدأ عهد جديد فى البادية ، لذلك عندما غزت المدينة البادية ثم رأينا تحول البدوى فى ملبسه ومأكله ومشربه وأسلوب حياته، لأدركنا أن الضرورة تحتم جمع هذا التراث حتى لا يندثر لأنه يمثل تاريخا لشبه الجزيرة كما أنه يمثل ردحا من الزمن قد يستفيد منه الأبناء فى حياتهم ، ومن ثم يبتعدون عن كل ما يشين الإنسان والإنسانية ، وحتى يبقى لشبه الجزيرة السيناوية تراثها الذى ترتكز عليه وإلا فلا حضارة لأمة أو منطقة دون مرتكزات تراثيه ثقافية حضارية ترتكز عليها وتستقى منها ما ينفعها ويطور من حياتها ، وإلا أصبحت المدينة نبتا شيطانيا وتقليدا فقط ، ولكن الاتكاء على التراث والقومية والدين يجعل أخذنا بالمدينة له أسبابه، ولكن يجب الاحتراس عند الأخذ بأسباب المدينة والتمدين ، وهذا الاحتراس وهذه الحيطة أساسهما الاحتفاظ بقيمنا العربية ، وهويتنا القومية ، وديننا الإسلامى ، وإلا أصبحنا مقلدين ننساق إلى كل جديد ، ونضرب بتقاليدنا وبأصول ديننا عرض الحائط ، فنفقد بذلك تاريخنا ، وأصالتنا ، وقوميتنا ، وهويتنا ، وديننا الإسلامى الحنيف.

من كل هذا وجب ضرورة جمع التراث الثقافى ليصبح سلاحا وقت اللزوم ، نحارب به ونتكأ عليه حتى يمكن أن نقول : هذا شعب عربى آخذ بأسباب التقدم والمدنية له هويته وكيانه وتاريخه العريق.

من هذا كله اقتضت الضرورة البحث فى المعتقدات الشعبية السيناوية ، لنقارن بين بدو الأمس ، وبدو اليوم ، ولنأخذ من المدنية الحديثة ما يخدم البادية وينميها فى كل مجالات التنمية المختلفة.

الخيال الشعبى

ويقصد بالخيال الشعبى هنا، ما أنتجته القريحة الشعبية البدوية من شعر ونثر وقص ، أو بمعنى أوسع كل مجالات "الأدب الشعبى"

ونحن حينما نذكر "الخيال الشعبى" فإنما نذكره لنتجنب البعد عما يتصل بالمصطلحات والمسميات ، وهو المنهج الذى انتهجته منذ بداية الحديث عن التراث القصصى عند بدو سيناء إيمانا منى بعدم جدوى المصطلح كأساس لنبنى عليه دراستنا ، ومع أن ذلك يحيد بنا عن المنهجية العلمية للبحث العلمي إلا أننى آثرت ذلك تجنبا للحرج الذى وقع فيه العلماء عند حديثهم عن المصطلح ومدى اختلافهم فى تحديده ، علاوة على أن الأدب الشعبى قد روته الذاكرة الشعبية بالمعنى دون اللفظ ، وتم التصرف فيه بالتحوير والتلخيص وإعادة الصياغة وإسقاط بعض الروايات التى تتسم بالمبالغة والإغراق فى الشاطحات التى لا يرضى عنها العقل ولا يقرها التفكير والمنطق ، وليس معنى ذلك قصر دور الخيال فى القص ، وإنما عمدت الروايات التى تناقلت من الأجداد إلى الأسلاف إلى هذا التحوير والحذف بل والإضافة حتى يتماشى ذلك مع ظروف ومقتضيات العصر ، وتوجيه هذه القصص لخدمة أغراض خاصة – يراها الراوى – يمكن أن تؤثر فى هذا المجتمع.

ويجب فى البداية ألا نقصر الخيال الشعبى فى الدراسات الأدبية على الشعر والنثر الفنى فحسب ، بل يجب تجاوز هذا المعنى الضيق إلى أبعد من ذلك ولنركز على دراسة العلاقات المتواشجة بين الشعر والنثر الفنى ، ثم نعرض للأمثال والحكم ، وما يمكن أن نجده من استخدامات فنية لأجناس الأدب الأخرى ، ومن رواية وشعر ومسرح ومقالات وغيرها - إن وجدت - حتى نستطيع أن نؤطر لهذا الخيال الشعبى ونستنبط الأهداف والأغراض التى يقصد إليها ويرجو تحقيقها ، وليس معنى ذلك الوعظ والإرشاد والدعوة إلى الفضيلة فحسب ، بل يمكن أن ينسحب ذلك إلى أغراض أخرى اقتصادية وسياسية واجتماعية وغيرها ، فيصبح الفن غير محصور فى أهداف عامة أو خاصة بل يتجاوز ذلك إلى استشراف آفاق جديدة قد تسبق العلم الحديث وتؤطر لعوالم أخرى وأحداث قد تحدث بعد آلاف السنين.

ولعل القدماء قد حاولوا ربط الأدب بالحياة ، أو البيئة التى يعيشون فيها فظهرت المدارس الأدبية ، من كلاسيكية ورومانسية ورمزية وتكعيبية وتحليلية وتفتيتية وأنجلو أمريكية وغيرها ، بل أن دعاوى ثم "الفن للفن" قد أنتجت دروبا للخيال واسعة جدا ، وفتحت آفاق وعوالم جديدة فى تاريخ الفكر والأدب ، وهذا الخيال هو الذى يستمد منه الأدب الشعبى مادته ، وكذلك أى أدب آخر ينزع إلى السموق والعالمية ، وسأجنب الحديث عن العالمية ، وعالمية الأدب حتى لا نقع تحت براثن معنى المصطلح ، ونمهل الدرس المنوطين به أو حتى لا نثقل على القارئ ونحمله أعباء جديدة يكون مجالها

البحث المتخصص الدقيق ، ولسنا هنا بصدد هذا حتى لا نخرج من إطار البحث الميدانى إلى الدرس الأدبى الأكاديمى والذى يطول فيه الحديث ويتشعب ، ومع هذا قد نلمح إلى بعض التحليلات الدقيقة وبعض التوثيق والفهرسة والتصنيف ولكن كل ذلك من أجل إضفاء روح العلمية على البحث المتسم بالميدانية وليس الأكاديمية الصرفة والتى - إن شاء الله - سوف نخصص لها كتابا منفصلا بصفتنا أكاديميين ولكن هذه الدراسة تحتاج منا إلى شىء من المرونة ، وبعضا من التحليل حتى نصل إلى غاية الجهد والهدف المنشود من جمع ذلك التراث الذى كاد أن يندثر ويذوب عبر موجات الحداثة ، وما بعد الحداثة ، والشرق أوسطية ، المتوسطية ، والعالمية ، والكونية ، والكوكبية ، والعولمة ، وما إلى ذلك من التيارات التى أمدتنا بها الثورة العلمية التكنولوجية ، وعالم الفضاءات الممتدة.

وقد لعبت الأحلام دورا كبيرا فى إثراء الأدب الشعبى ، كما كان للأمثال والحكم والنكات الفضل الكبير فى إثراء مادة هذا الأدب الشعبى.

وإذا ذكرنا الخيال الشعبى فإنما يجب أن نفرق بينه وبين خيال ليس بشعبى - كما يقول د / عبد العزيز الأهوانى : فالخيال الشعبى هو فى حقيقته التفكير الشعبى أو العقلية الشعبية . ومعنى هذا أن الأسطورة عند العلماء هى الحقيقة عند من نطلق عليهم لفظ الشعب ، وأن الخوارق أمور طبيعية الحدوث فى العقلية الشعبية . ومن هنا يستوي أن نقول : الخيال الشعبى ، والمنطق الشعبى ، أو التفكير

الشعبى . فالتفرقة فى حقيقتها بين عقليتين ، عقلية شعبية تصدق ما تتوهمه وتتخيله ، وعقلية مثقفة تفصل بين الخيال والواقع ، وتجنح إلى تفسير الواقع تفسيرا منطقيا يبحث عن العلل والأسباب المنطقية المعقولة لتفسير الظواهر ، ومن سمات التفكير الشعبى فى تفسيره للأحداث أنه يعتمد على المصادفة البحتة ، فيصادف الفارس فى طريقه جيشا فيحاربه ، أو امرأة فيقتنيها ، أو ثعبانا فيقتله ، أو يجد كنزا فى جبل وما إلى ذلك ، وتلعب الصدفة دورا كبيرا فى تسيير الخيال ، وسير الأحداث ، وتنقل الحدث إلى جهات أخرى غير متوقعة وغير ممهد لها ، فيكون عنصر المفاجأة هنا سببا فى الدهشة وإمعانا فى الإنصات وتتابع الحدث للوصول فى النهاية إلى نتيجة ما سوف تسفر عنه الأحداث فى نهاية القصة ، ومن ثم تتحقق المتعة ، وتعم الفائدة ، وتتحقق الأهداف والرسالة التى يريد القاص أو الراوى أن تصل إلى المستمع الفرد أو المجموع ، وإذا علمنا أن الراوى هذا لا يسجل القصة فى كتاب بل يرويها مشافهة لفرد أو لجماعة لأدركنا خصوصية الهدف المراد و الذى يمكن بعد ذلك أن ينسحب إلى جماعات أكبر فيتم تحول الهدف الخاص إلى هدف عام ، وذلك بما يناسب ظروف ومقتضيات العصر ، والظروف والأحوال الا جتماعية والاقتصادية والسياسية الخاصة بكل مجتمع على حدة ، ثم بالمجتمعات كلها فى النهاية ، لنصل إلى منظومة محلية أدبية شعبية توجه أهدافها إلى الإنسانية ، فتفتح بذلك المجال إلى عالميتها وشيوعها وانتشارها ومن ثم تعميمها وعولمتها إذا جازت لنا هذه التسمية الاصطلاحية الحديثة.

وإذا أردنا ان نحدد قواعد التفكير الشعبى فإننا سنجد - بصفة عامة - أن المصدر العاطفى لا العقلى، وتدخل القوى الخفية ، ووحدانية السبب ، ودور الحظ والمصادفة هى قواعد التفكير الشعبى وأصوله ، أو هو منطقه ومنهجه . ويبقى بعد ذلك أسلوب التفكير الشعبى وطرائقه فى الأداء[1].

كذلك يمكن لنا أن نستشرق آفاقا يتسم بها أسلوب التفكير الشعبى ، وهذه الآفاق نابعة من تلك القصص ، أو الأشعار البدوية ، أو حتى الأمثال والحكم ، فنلاحظ أن أهم ما يتسم به التفكير الشعبى هو عدم وضوح الرؤية فى البناء اللغوى وتتابع الأحداث ، أى أن خللا ما يسم هذا الأسلوب ويكون مرجعه فى النهاية إما إلى اللغة - اللهجة - التى يتحدث بها الراوى و التى تعود إلى إمكاناته التحصيلية الحياتية - إذ أسلفنا أن البدوى لا يعرف القراءة والكتابة - أو يعود هذه الخلل إلى عناصر المفاجأة التى تمت فى الحدث ، فنقلته من موضوع إلى موضوع، وهذه الوثبات السريعة توقع البدوى - غير الحاذق - فى تخلخل فى البناء اللغوى ، وعدم تواصل السرد ، فقد يتحدث الراوى عن موضوع معين كأن يكون - مثلا - فى رحلة على جمله فى الصحراء ويكون قاصدا هجوما ما على قبيلة فيها حبيبته فيصادف جماعة أخرى فيحاربهم ، ويسير فيضل الطريق فتقابله حيوانات

---

[1] د . عبد العزيز الأهوانى ، الخيال الشعبى فى الأدب العربى ، مجلة الفنون الشعبية العدد ١، ٢٠ ، : ٢١ الهيئة العامة للكتاب.

متوحشه تحاول الفتك به، فيهرب منها أو يقاتلها ثم تنتهى القصة دون أن يكمل لنا الراوى البقية وماذا فعل بعد ذلك ، وهل عاد للقبيلة التى بها محبوبته ، أم مات ، أم عاد إلى قبيلته؟ وهذا مرجعه إلى نسيان أول كلامه ، وعدم التركيز فى القص وكمتابعة سير الأحداث فتجىء إلينا القصة ناقصة مهلهلة غير مكتملة نتيجة لهذا التناسى ، أو لتتبع جزئية معينة دون الالتفات إلى باقى عناصر القص ، فتكون النهاية غير موفقة وهذا - فى نظرى - ما حدا بالغربيين بأن يصفوا القصة بأنها نتاج غربى ، والحقيقة أن الكثير من القصص العربية قد وصلتنا تامة مكتملة البناء ، ترمز إلى البيئة التى حدثت فيها ، كما أن عناصر القص والحكى تختلف من بيئة إلى أخرى ، وتحدد هذه العناصر ظروف المكان والحدث ، وما ينطبق على مكان لا ينطبق على مكان آخر ، فإذا ظهرت القصة الغربية تامة فى بيئتها ، ومكتوبة بلغة قومها وحسبما اقتضته ظروف الحدث وطبيعة المكان ، فلكل مجتمع قصصه وأساليبه وطرقه فى القص ومناهجه ، وليس من المعقول أن يتم التأطير والتنظير للقصة فى أوربا مثلا ثم تقول أنه على العالم أن يتبع هذه الأساليب ، وإلا فلا يمكن أن نطلق على غيرها قصص ، وهذا منطق غير دقيق ، وقياس غير مقبول فى الحكم على المنهجية التى يمكن أن تكتب بها القصة ، فلم تراع المناهج الأوروبية الغربية عبقرية المكان ، وظروف الحدث ، والغرض الذى من أجله كتبت هذه القصة ، وقد تتشابه القصص ، ولكن تختلف نكهتها وطبيعتها الخاصة وذائقتها التى تستقى مادتها من روح البيئة والعصر الذى حدثت فيه ورويت عنه ، وإلا

لطرحنا المعادلة المعكوسة بأن نقول : أن أدبنا كتب هكذا وهـذه فنياته ومناهجه وعلى الغرب أن ينتهج أسلوبنا وأهدافنا ، فهل سيرضى هؤلاء بذلك؟!

إن الأمر يحب ألا يكون تعصبا وإنما يجب العلم أن لكل بيئة كلامها وقصصها وشعرها وما وجد فى بيئة ليس بـالضرورة أن يكـون فـى بيئة أخرى لأن مقتضيات المكان وطبيعة الأحداث قد لا تبدو متشابهة أو حتى متماسة وأحيانا تبدو متناقصـة وعلـى سـبيل المثـال لا يمكـن - مثـلا - أن تتشـابه أحـداث القصـص التـى تقـص وتحـدث فـى بـلاد الإسكيمو حيث الجليد مع القصص التى تحدث فى إحدى البـوادى العربية ، حيث الحرارة الشديدة ، فطبيعة المكان والأحداث والظـروف مختلفة ، فلا بد من أن تنتج فى الجانبين أدبا مختلفا وأحداثا مختلفـة، ولو حدث غير ذلك فإنما يكون من تدخل الخيـال ، لهذا رأينا الجان والعفاريت يتدخلون فى سير الأحداث ، وينقلون الحدث من بلدة إلى أخرى ، ومن مجتمع إلى آخر ، بعيد كل البعد ، وهـذا مسموح بـه فـى مجال الإبداع ، أما قصر مسألة نفى القص عن بلدة دون الأخرى ، أو عن مجتمع دون الآخر ، وفضل السبق وأسبقية الكتـاب وقيـاس الخيـال لدى الإنسان هو أمر من قبيل اللغط وأمر لا يتقبله العقل ، فالإنسان هـو الإنسان فى كل زمان ومكان تبدأ قصته يوم مولده وتنتهى قصته بوفاته وما بين الميلاد والوفـاة يمر بأحداث وتقع لـه أحـداث فتكـون قصـة ، ويكـون إبداع ، فكيف بالمجتمعات التـى تحـاول أن تنسـب لنفسـها الفضل وتطمس هوية وإبداع المجتمعات الأخرى ؟ !

لذا كان الحديث عن نشوء القصة وإنها نتاج غربى هو من الأمور التى يشوبها لغط ومغالطة ، وإنما الأمر لا يتعدى بعض التقنيات التى وضعها بعض المحدثون لإثبات مجد ما ، أو فضل ما ، على شعوب أخرى وهذه جريمة فى حق التاريخ والإنسانية جمعاء.

فها هو البدوى الذى لا يعرف عن الحداثة شيئا فى جميع العصور ، يقص ويحكى ، بالشعر تارة ، وبالنثر تارة ، فتتناقل قصصه وسيره عبر العصور دون أن يعلم أنه بذلك يساهم فى صنع الحضارة، وحضارة بدون تاريخ وأصالة هى حضارة زائفة ، فكم من شعوب بادت وطمست هويتها وبادت أخبارها وذلك لعدم أصالتها وعراقتها ، وكل أمة تقوم بغير تراث أصيل هى أمم تتخبط ، ولا تلبث أن تزول والمثال الأوضح لذلك - حديثا - فى الاتحاد السوفيتى وانهياره ، وكذلك انهيار قوميات وشعوب ظلت تفاخر بقوتها وذلك لأنها لا تستند إلى أصالة عريقة ، فتكون الحداثة سببا من أسباب تدهورها وانهيارها لأنها لم تولى للتراث أهمية ، أو لعدم وجود تراث عريق تستمد منه مقومات وأسباب بقائها وتطورها.

التراث القصصي
عـــند بـــدو ســـيناء



أسلفنا من قبل أن قبائل سيناء تمتد فى جذورها إلى بادية العرب فى الجزيرة العربية أى أنهم قبائل عربية نزحت من شبه الجزيرة العربية واستقرت فى سيناء ، فلا غرو أن تمتد عاداتهم وتقاليدهم وتتشابك مع جذورهم العربية و بالتالى يمكن اعتبار بدو سيناء هم امتداد لبدو الجزيرة العربية فى طرائق تفكيرهم وطرق معيشتهم وعاداتهم وتقاليدهم وإن اختلفت قليلا بطبيعة المكان إلا أن الجذور والأصول والطبائع لا يمكن أن تنفصل عن تقاليد وطبائع الجزيرة العربية.

وبالتالى فإننا عندما نبحث فى الشعر العربى أو القصة فإننا يجب فى البداية أن ننتبه إلى تلك الصلة الممتدة بين هذه القبائل.

فإذا نظرنا للشعر البدوى فى سيناء فإننا سوف نلحظ أن أغراض الشعر فى الجزيرة العربية نفسها أغراض الشعر عند شعراء بادية سيناء كما أن أسلوب الحياة المعيشية فى الخيام وبيوت الشعر هو نفسه أسلوب معيشة هؤلاء البدو الرحل فى شبه جزيرة سيناء وبالتالى يمكن أن نقول أن الأدب السيناوى شعره ونثره هو امتداد طبيعى للشعر العربى وقصصه عبر عصوره وأجياله المختلفة . فلم يخترع البدو فى سيناء أسلوبا جديدا وإنما اعتمدوا على قوافى الخليل بن أحمد وبحور الشعر العربية فى نظمهم ، كذلك اللهجة مقاربة تماما للهجة

البدو فى شبه الجزيرة العربية . ومن هذا الأساس العريض الممتد للشعر والنثر العربى يمكن أن نؤطر لتراث الشعر والقص عند بدو سيناء.

وإذا كان بحثنا هنا يقتصر على التراث القصصى فإننا سنقصر الحديث ونتحدث عن القصص فى بادية سيناء ولمن أراد الرجوع إلى الشعر فليعود إلى كتابنا عن الشعر البدوى إن أراد ذلك[1].

---

[1] حاتم عبد الهادى السيد ، ثقافة البادية ، مركز الحضارة العربية ، ١٩٩٨م.

التراث القصصي في بادية سيناء

عرف العرب القدماء القصص وتناقلوها مشافهة عبر العصور والأزمنة ، فقد عرفوا قصة آدم وحواء ، وقصة نوح وعاد وثمود وأصحاب مدين وغيرها وما يدلل على معرفة العربى القديم بالقصة وفن القص قول الحق عز وجل يقول تعالى " ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات "[1] ويقول تعالى : "نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين "[2] ويقول تعالى : "فأقصص القصص لعلهم يتفكرون " صدق الله العظيم وهذه الآيات الكريمة تقطع بمعرفة العرب لفن القص والقصة وتقطع الطريق على كل باحث غربى أو عربى فى التشكيك بعدم معرفة العرب للقصة ، أو أن القصة هى نتاج غربى ، وإنما نؤكد أن القصة نتاج إنسانى موجود فى كل المجتمعات وإن تباينت أساليب القص أو فنياته ، أما ما يعرف حديثا بفن القصة القصيرة أو فن الرواية فهى أشكال مستحدثة نتيجة لتطور العصر مثلها فى ذلك مثل الشعر الجاهلى الذى تطورت أشكاله وقوالبه بداية من المعلقات ومرورا

---

[1] سورة التوبة ، آية ٧٠.

[2] سورة يوسف من أول الآية ٣.

يالموشحات والدوبيت والمواليا وفن القوما والكان كان وانتهاءا بالشعر الحديث – شعر التفعيلة – حتى وصلنا إلى قصيدة النثر المتنازع عليها حاليا. إذن – وحتى نغلق هذا الباب – فالقصص نتاج إنسانى موجود فى جميع المجتمعات والعصور ولا يمكن أن نصفه بأنه نتاج غربى أو عربى وإلا وقعنا فى مغالطات تاريخية وفتحنا الباب واسعا للجدال واللغط والتعصب واجتلاب التبريرات للانتصار فى النهاية للغرب أو للشرق فى فضل السبق وبناء أوهام حضارية زائفة ومجدا لا طائل منه ولكن ما يهمنا فى المقام الأول هو ذلك النتاج الإنسانى ومدى ما يقدمه للبشرية. من قيمة تعود على الفرد ومن ثم المجتمع بما يخدم البشرية كافة . فالقيمة الحقيقة تكمن فى مدى هذه الفائدة ، ومدى الغرض الذى يمكن أن نحققه فى هذا المجال . وإذا اتفقنا على ذلك فلنبدأ الحديث عن حلقة من حلقات تراثنا الإنسانى القصصى فى تلك البقعة الغالية من أرض مصر ومن قلب العروبة ألا وهى شبه جزيرة سيناء.

ونحن حين أسلفنا الحديث عن شبه جزيرة سيناء ، عاداتها وتقاليدها ، وأسلوب معيشة أبنائها وطبيعة هذه الحياة فإنما لأن الأدب هو نتاج المجتمع و أى أدب منفصل عن مجتمعه هو أدب مغلق أو قل ليس بأدب على الإطلاق.

ولسنا مع أصحاب نظرية الفن للفن ، ونحن لا ننكر بذلك دور الخيال ولكن هذا الخيال لابد أن يكون نابعا من نتاج لغوى بيني تحدده طبيعة المكان والزمان وتنعكس عليه بالضرورة وإلا أصبح ضربا

من التهويمات الهلامية التى تأخذ بالعقل إلى آفاق غير حقيقة ، وإلا أصبح هذا الكلام من الخرافات والأساطير وهو أمر موجود وواقع ولكن لا يمكن أن نطلق عليه قصة ، إذ القص نتاج فردى يرويه راو ويسمعه مستمع فإذا تمت حلقة التواصل المعرفى بين ما يرويه الراوى وما يستمع إليه المستمع تحقق النتاج والغرض مما يقوله الراوى وأصبح المروى قصة ، ومع علمنا بأن القصة تحتاج إلى أبطال أو بطل وزمان ومكان وأحداث وما إلى ذلك من فنيات القص إلا أن هذا الأمر سنعود إلى الحديث عنه لاحقا ، ولكن إذا لم يتحقق هذا التلاقى العقلى المنطقى ولم تصدق أذن المستمع تلك الأحداث الخيالية الأساطير فسيكون النتاج "أسطورة تقص وتروى" والأسطورة تعتمد فى الأصل على الخيال ، والقصة تعتمد فى الغالب على حقائق واقعية قد يشوبها بعض الخيال قليلاً ويمكن تجاوز ذلك ، ولقد أصبحت القصة والأسطورة ضربان فى الأدب لا يمكن إنكارهما وأصبحنا نفرق فى درسنا الأدبى بين القصة والأسطورة ، كذلك الأمر فيما عرف باسم الحكاية فالحكاية أو الحد وته هى فى الأصل قصة فإذا كانت هذه الحكاية تمخر عبر يباب الخيال وتحاكى الأسطورة فإنها تصبح حكاية أسطورية أو خرافية ، وإذا لم تمعن فى الخيال أصبحت حكاية واقعية وحقيقة الأمر – فى نظرى – أن التفريق بين مصطلح حد وته وحكاية وقصة وأسطورة ورواية هو من قبيل التفريق الشكلى بغرض التمهيد النقدى للدراسة والبحث فقط ، أما حقيقة الأمر فإن كل هذه الأشكال تعتمد على حدث وينتج عن هذا الحدث مجموعة من الأحداث

الفرعية المتشعبة حينا والمتشابكة أحيانا وتتخلل هذه الأحداث وقائع معينة يقوم بها أشخاص أو حيوانات أو أشجار أو طيور خرافية أو جان أو عفاريت وما إلى ذلك ولكن خلف كل حدث تكمن قيمة معينة ورسالة تخص المستمع ويعمل الراوى فى إيصال هذه الرسالة فى أحسن صورة وأجمل أسلوب ومن هنا كان اختلاف الأسلوب الأدبى على الأسلوب العلمى وظهور الأجناس الأدبية بأشكالها المعدودة من: مقال وقصة وشعر ونثر وما إلى ذلك وهى تعتمد فى الأصل على الخيال وجماليات اللغة ، أما خلا ذلك فإنه يختص بالجانب العلمى الذى لا يعتمد على الخيال مطلقا ويقيد العقل بقيود تفرضها طبيعة هذا الموضوع العلمى . ولسنا هنا بصدد التفريق بين الأسلوب العلمى والأدبى وإنما اقتضى الحديث التنويه عن ذلك قاصدين التفريق – فيما استجد – بين القصص الأدبية ، والقصص العلمية أو التعليمية أو قصص الخيال العلمى كما لا يفوتنا بداية أن نشير إلى أن أغلب القصص العربية وقصص بادية سيناء قد وصلتنا مشافهة ولم تدون فضاعت أغلبها فلم يبق منها إلا ما يدل عليها وهذا ما تمثل فى الحكم والأمثال، فلكل حكمة و مثل قصة تدل عليه ، فهما نتاج قصة فى الأصل ولكن لعدم وجود تدوين ضاعت أغلب هذه القصص.

فلما جاء عصر التدوين وانتقلت الحضارة من عصور الشفاهية والمشافهة إلى عصور الكتابية والكتابة وظهور الخطوط العربية وغيرها انتقل العالم إلى التدوين ثم كانت الثورة العلمية وتم اكتشاف الطباعة على يد العالم "جونتنبرج" فانتقل الحديث من الكتابة إلى الكتاب .

ثم تطورت الحضارة وظهرت الثورة التكنولوجية والمعلومات بظهور الحاسوب فتراجع الكتاب الورقى وظهر الكتاب الآلى والإلكتروني أو الأسطوانات التى تحمل بين ذراتها آلاف الكتب وظهرت شبكات الإنترنت ومستحدثات جديدة فانتقل العالم إلى مرحلة جديدة وأصبحت ثورة المعلومات هى النتاج الطبيعى للتطور التكنولوجي الحادث فى العالم . كل ذلك وغيره ساعد على التصنيف والتحليل والفهرسة فظهرت المصطلحات وانفصلت العلوم شكلاً ، وتشابكت جوهراً ، فاختلط الشعر بالنثر وتم المزج بين الأسلوب العلمى والأدبى وبين القديم والجديد والمعاصر والمستشرف لآفاق جديدة ، واختلط الواقع بالخيال نتيجة لتلك التلاحقات السريعة وكل هذا كانت له آثاره على الأدب بالسلب أو بالإيجاب ، ولكن كل ما يهمنا هنا . وفى المقام الأول هو المحافظة على ذلك التراث الخالد الذى مات رواته أو كادوا يندثر ون فيندثر معهم صرح تراثى رصين حفظته الصدور ووعته العقول على مر الأزمان والعصور.

ومن هنا جاءت الدعوة إلى جمع التراث وحفظه وتدوينه لأنه يمثل - فى نظرى - مرتكزاً حضارياً وثقافياً وقومياً بالغ الأهمية ، إذا أن وجود أمة وتقدمها دون نتاج تراث وأصالة سابقة هو تطور إلى القمة التى تعقبها الهاوية ، وليظل التراث هو العصا السحرية والمرتكز الثابت الذى نرجع إليه دائما عندما تغيم الرؤية وينتشر ضباب الحداثة فنستقى منه ونتسلح به لنزيل آثار ذلك الضباب أو لنثقبه فنرى بعدسة الأصالة سماء المعاصرة ، ونرى بعدسة. المعاصرة آفاق المستقبل

الرحب الذى تسعى الثقافة دائماً إلى الوصول إليه بما يخدم الفرد والجماعة والمجتمع وبما يعود بالنفع على الإنسان والإنسانية جمعاء . إذن الحديث عن التراث والقصص والأساطير والخرافة فى عصر الثورة العلمية والمعلوماتية هو حديث جوهرى وليس من قبيل الجهل والرجعية كما يدعى الكثيرون ، بل هو - كما أسلفنا - المرتكز الحضارى الإنسانى الذى نستمد منه أسباب تقدمنا بل وأسباب حياتنا كبشر نعيش فى مجتمعات لها تقاليدها ودينها وقيمها وقوميتها وإلا لاختلطنا بقيم الآخرين وقلدناهم فى كل شىء فنفقد بذلك هويتنا وحضارتنا وديننا وعروبتنا وقوميتنا ومن هنا تجىء أهمية دراسة التراث لا لكونه ثقافة قومية - كما يدعى البعض - بل هو فى نظرى - يمثل تاريخاً قومياً ومبحثاً تتحدد به هويتنا ومعتقداتنا وديننا ، وكل أولئك يمثلون بالنسبة لنا كعرب - عروبة وقومية وإنتماء لثقافتنا العربية الإسلامية ، بل أزيد على ذلك وأقول : حياتنا التى يراد النيل منها ومن ثم نفينا ، بل ومحقنا من هذا الكون.

إذن لا غرور أن أطلق على هذه الدراسة "الثقافة القومية" أو "الأدب القومى" كعنوان عام يتفرع عنه عنوان خاص هو "التراث القصصى عند بدو سيناء" كأنموذج مصرى حى ، وكحلقة مفقودة من تراثنا الجميل الذى أصبح مهدداً بالاندثار نتيجة لزحف أمواج الحداثة والعولمة والشرق أو سطية المتوسطية والكونية وغير ذلك.

وطالما اتفقنا من قبل - كما أسلفنا - على أن بدو سيناء وقبائلهم هم امتداد لقبائل عربية نزحت من الجزيرة العربية واستقرت

فى شبة جزيرة سيناء ، فإننا يمكن أن نتفق أيضاً على أن أغراض القص وطرائق التفكير والعادات والتقاليد هى نفسها كالموجودة فى شبه الجزيرة العربية مع مراعاة عدم إغفال طبيعة. المكان وتطورات الزمن ، كما يجب أن نلحظ أن الأمر ليس افتراضياً ، بل هو أمر حتمى لأن الإنسان لا يمكن تجزئته وفصله عما تربى عليه ، وتصبح هذه مرحلة سابقة فى حياته لذلك عندما يهاجر من بلد إلى بلد آخر – مشابه فى المكان والزمان والأحداث – فإنه لا يمكن أن ينسلخ من جذوره وتربته ، لأن نفس الظروف تكون مشابهة لذلك فإن النتاج لابد وأن يكون متشابها ، أو لصيقا بالتربة الأولى فينزع الإنسان إلى الحنين إلى الماضى ، فإذا عاش فى نفس ظروف المكان ، وتشابه الحدث ، فإنه كإنما ينتقل من بيت قديم إلى بيت آخر ، فيه عبق القديم لكن باختلاف بعض الأشياء البسيطة فى أعمدة هذا البناء فهو بالتالي كأنه لم ينتقل ، لأنه لا ينتقل إلى هذا المجتمع الجديد مفرداً ، بل يكون فى جماعات كثيرة تمثل نماذجاً حية أمامه من مجتمعه القديم.

وطالما أن الأمر كذلك ، فلا يمكن بالضرورة فصل القصص فى بادية سيناء عن القصص الموجودة فى شبه الجزيرة العربية ، والذى يشكك فى ذلك – لحظة – فليقارن بين حياة البدو التى أسلفنا الحديث عنها ، وبين حياة البدو فى شبه الجزيرة العربية ليشاهد صدق ما نتحدث عنه ، وأظن أن تاريخ شبه الجزيرة العربية ومكتوب ومعروف وليس مجهول الهوية أو غير معروف ، لذا فإن المقارنة تكون جلية لتوضح ما نحن بصدد الحديث عنه الآن.

القصص البدوي

يمكن لنا أن نقسم القصص عند بدو سيناء إلى قسمين كبيرين هما :
أولاً : القصص الشعري.
ثانياً : القصص النثري.

أولا القصص الشعري :

ويمكن لنا أن نقسم أيضاً القصص الشعري في المبحث الأول إلى قسمين:

١-القصص الشعري.
٢-الشعر القصص.

ا- القصص الشعري :

هو عبارة عن قصة يرويها أحد الرواة وتتخللها أبيات من الشعر تأتى عرضاً أو كلازمة لتأيد موقف معين ، أو كهمزة وصل بين بداية القصة ووسطها ، أو قد تأتى هذه الأبيات في نهاية القصة على سبيل إبراز المضمون ، أو القيمة أو الغرض الذى سيقت من أجله ، أو تأتى كحكمة على لسان أحد الأشخاص ، أو كخاتمة لقصة ، فالشعر هنا من نسيج البناء القصصي وليس غرضاً بالضرورة ، أو هدفاً ، وإنما يساق الشعر من أجل التأكيد على غرض معين تستلزمه ضرورة القص ، وتبقى للقصة

عناصرها الفنية البنائية ، ولكن لا يمكن فصل هذه الأبيات عنها وإلا اختلت فنياتها ، وسقط ركن من أركانها ، فهى جزء من نسيج القص يصاغ منغماً ، موزوناً ، مكتمل البناء تارة ، أو يستخدم شطراً معيناً يدل معناه على غرض معين أو حكمة تستلزمها ضرورة القص لتأكيد هذا الحدث المروى ، كما يجب أن نلاحظ أن أسلوب القصص الشعري يعتمد على النثر ، ويكون الشعر متضمناً داخله.

٢-الشعر القصصى :

والشعر القصصى لا يستخدم النثر مطلقا ، وإنما يحكى النص عن قصة حدثت - شعراً - دون استخدام سرد نثرى يتخلل الحدث أو يستغله أو يتوسطه أو حتى فى الخاتمة ، فالشعر القصصى لا مجال فيه للنثر مطلقاً ، بعكس القصص الشعري الذى يتخذ من النثر أساساً يبنى عليه الحدث ، ويتنامى معه - نثراً - ويمكن أن نطلق عليه - مجازاً - : "التنصيص الشعري" داخل النسيج القصصى ، وإن كان ليس تنصيصاً لأنه ليس غرضاً فى البداية فهو من نسيج السرد ، وإن سيق شعراً ، فقد يحدث أحياناً أن يستهل الراوى قصته ببيت من الشعر ، أو بعض الأبيات ثم يبدأ القص ويعود إلى الشعر ثم تتوالى الأحداث نثراً فيختم قصته فى النهاية بمثل أو حكمة ، أو ببيت شعر ، أما الشعر القصصى فلا مجال فيه للنثر مطلقاً ، وأما الحديث عن "مناسبة القصيدة" وما يقال أن القصص الشعري يمكن أن يكون هو نفسه "مناسبة القصيدة" فهذا ينتفى تماماً ، إذ لم نشاهد إلى الآن عبر تاريخ شعرنا الخالد أن قطع

الشاعر قصيدته ليروى لنا بعض الأحداث بالنثر ثم يستكمل قصيدته ، ومن هنا وجب التفريق - بداية - بين هذين اللونين الأدبيين حتى لا يحدث أى لبس أو خلط بين جنسى الشعر والنثر.

ثانياً القصص النثرى :

والقصص النثرى البدوى - كغيره من القصص العربى - يستخدم فيه الراوى الزمان والمكان والشخوص والأحداث ويختم قصته فى النهاية بخاتمة ، أى ما يسمى حسب تقسيمالنا الحديثة بالقصص التقليدية ، لأن الحداثيين قد طوروا من أسلوب القص فلم تعد الحبكة القصصية شرطاً للقص ، ولم تعد للقصة الحديثة خاتمة محددة ، فقد يقف القاص عند حدث معين ويترك للقارئ تخيل الخاتمة ، وهذا الأمر - فى نظرى - كان موجوداً فى القصص القديم.

فقد عثر المحدثون فى البرديات القديمة الفرعونية والإسلامية وغيرها ، على نوع من القصص غير مكتمل للحدث فظنوها ناقصة إذ لم يكن بها خاتمة ، ولكن إذا تم قياسها بمقاييس الحداثيين - الآن - فإننا سنجدها تتماشى مع ما ذهبوا إليه فى عدم اشتراط الخاتمة، أو الحبكة ، ولكن إذا بحثنا فى التراث القديم فإننا سنجد القصة القصيرة ، وقصة الومضة ، والأقصوصة والرواية ولكن دون تسمياتها الشكلية التى وضعها المحدثون ، ولا يمكن كذلك أن نغفل المقامة أيضاً ولكن هذا الأمر ليس هدفاً فى هذه الدراسة وإنما سنكتفي بالتنويه عنه عند حديثنا عن القصة التقليدية والقصة الحداثية.

ومهما يكن من أمر فإن التقسيمات السابقة هي تقسيمات مجازية سقتها بغرض الدراسة ، إذا يصعب الفصل والتفريق بين القصص الشعري والشعر القصصي وكذلك القصص النثرى لتداخلهم من ناحية وانتمائهم إلى جنس أدبي واحد وأعني به فن القصة ، وإنما جاءت هذه التقسيمات بغرض التحليل والتفريق الشكلي بين أجزاء النسق داخل هذا الإطار العام لفن القصة القصيرة.

نموذج من القصص الشعري:

القصص الشعري أو القص الشعري - ناهيك عن باب النسب - هو كما أسلفنا ، بناء سردي تتخلله أبيات من الشعر اقتضتها ضرورة الحدث ، فهي بذلك لا يمكن فصلها عن النسيج العام للقصة.

ولكن يجب أن نلحظ أن هذا النوع من القصص يندرج عادة تحت باب التاريخ تارة ، فنجد القصة التاريخية ، أو ما يندرج ليحاكي الواقع فتكون القصة الواقعية ، أو ما يندرج تحت رمز كنائي يقصد غرضاً معيناً فتكون القصة الرمزية ، وما إلى ذلك . ونحن لا نميل إلى التفريق - في مستهل حديثنا عن قصص البادية - بين القصص الواقعية والرمزية أو التاريخية لأننا لسنا معنيين - هنا - بالتفريق والتصنيف والتبويب ، بقدر ما نحن معنيين أساساً بالجمع الميداني للقصص في بادية سيناء ، تاركين أمر التصنيف والتبويب والتحليل والفهرسة لدراسة أخرى.

وإذا اشترطنا ذلك مسبقاً وحددناه ، وجب علينا أن نسوق الأمثلة لمثل هذا النوع من القصص لنشاهد إلى أى مدى تفتقت عنه قريحة البدوى السيناوى.

وسوف نقوم - بداية - بعرض لإحدى نماذج القصص الشعري ثم نستتبع بعد ذلك بقية النماذج فى باب مستقل فى نهاية هذا الكتاب.

ولنا أن نعرض لقصة "المسعودى والمطيرية" كنموذج دال على هذا النوع من القصص الشعرى الذى يندرج تحت جنس التراث القصصى لنشاهد جمال التمازج بين الشعر والنثر عند بدو سيناء.

قصة المسعودى والمطيرية[1]

كان ياما كان ، فى سالف الأزمان ، والعصر والأوان ، كان للشيخ مطير بنت بديعة الجمال ، يتنافس فى وصفها الوصافون ، ويتحاكى عنها الحكائون وكان أن ارتحل "المساعيد[2] وبنى عقبة[3] من "نجد" ونزلوا فى "وادى العربة" بسيناء ، فارتحل مع المساعيد بعض من عرب "مطير"[4] ومنهم هذه الفتاة ، وفى أثناء الطريق جلس أمير قبيلة المساعيد ، وأمير بنى عقبة ، يلعبان "السيجة" ، فمرت هذه الفتاة "بهودجها " من أمامهما ،ففتن أمير المساعيد بجمالها ، وترك اللعب وصار ينظر إلى هذه الحسناء ، فاغتاظ منه شيخ بنى عقبة لأنه ترك اللعب مع الأمير وانشغل عنه بهذه الفتاة المطيرية – قليلة النسب– فأنشد موجها حديثه للأمير :

امطيرية يا أمير ما هى إلنا من قبيلة   و طنيبها داود اللى ما يعيبها

فرد عليه أمير المساعيد قائلاً:

نجيبها بالسرد والمرد والقنا   وضرب يعدى جارها مع طنيبها

---

[1] نعوم شقير : ، مرجع سابق ، ١١٧.

[2] المساعيد قبيلة من قبائل اللحيوات.

[3] بنى عقبة : إحدى قبائل نجد.

[4] عرب مطير : هم مجموعة من البدو ، من الدواغرة وأصلهم من بين عبيد ويعيشونمع العرب بالخاوة ، أى تحت حمى القبائل القوية.

فأجابه أمير بني عقبة قائلاً:

ياما دونها يا أمير من طرح سابق   وعودة بالميدان ما ينسخي بها

فهب المسعودى لساعته وأخذ يجمع جموعه ويستعد للقتال لأن العقبى قد أهانه ، وفعل العقبى كذلك والتقى الجمعان فى مكان يدعى "حصى المدرة" عند "مطب نقب غارب" بوادى العربة فاقتتلا قتالا شديدا كان فيه النصر للمسعودى ووقعت الفتاة المطيرية فى أسره فلما أتى بها إلى خيمته خرجت أمه من الخيمة فسألها ابنها فى ذلك فقالت : لا أقيم تحت سقف واحد مع هتيمية فتأثر لقول أمه فطرد المطيرية وأهلها من داره وانتهت بذلك قصة المسعودى والمطيرية إلى الأبد.

وبنظرة سريعة إلى هذه القصة فإننا يمكن أن نحدد بعض سمات القص فى هذه القصة ، إذ أن زمان القصة تاريخيا يرجع إلى عام ١٥٩٢م أو بعد ذلك بقليل كما أن المكان قد حدد بداية من تزوجهم من نجد واستقرارهم بوادى العربة ، بل ونرى تحديد حدث الحرب عند "حصى المدرة" عند مطب نقب غارب أما أبطال القصة الأساسيين فهم الأميران والفتاة المطيرية ، وأما الأشخاص الثانويون فهم جنود المعركة ، وأما الأحداث وتتابعها فتبدأ منذ رحيلهم وجلوسهم للعب "السيجة" ويتنامى الحدث.

بظهور الفتاة ويشتد الحدث تناميا فى تلك المشادة الشعرية من الطرفين وأما الحبكة فتأتى من التحام الجيشين ثم ينفرج الحدث

تدريجياً بالنصر وفوز الأمير بالفتاة الحسناء ، ولكن يزداد تصاعد الحدث تدريجياً فيرتفع وينخفض من هول المفاجأة . فالأمير عندما تم له الأمر يفاجأ بخروج الأم فتظهر مشكلة جديدة فى عدم إقامة هذه الأم مع هذه الفتاة المطيرية إذ كيف تتساوى هذه الفتاة فى نظرها مع أم الأمير فتكون النهاية المأساوية ، وينخفض الحدث مرة أخرى بصدمة الأمير من جراء سلوك أمه فيقوم بطرد الفتاة وترحيلها هى وأهلها جميعاً من دياره. إن هذه القصة التى أمامنا هى قصة مكتملة البناء اجتمعت لها عناصر القصة - كما أسلفنا - وتخللها الشعر كما رأينا كجزء من النسيج الدرامى للأحداث فإذا حذفنا هذه الأبيات اختلت القصة ولم تكتمل عناصرها فالشعر هنا هو جزء مكمل للسرد وليس دخيلاً على التتابع والتنامى الدرامى ، بل أن هذه الأبيات قد ساعدت على تنامى الحدث فى القصة.

كما أن القصة تشير إلى الفوارق الطبقية فى المجتمع البدوى فلا مكان للعبيد بجانب الأمراء والأحرار بدليل رفض الأم وإذعان الأمير لرغبتها ، وإذعان الأمير هنا يدل على انكسار الذات المتمثلة فى الفراق عمن شغف بها قلبه وحارب من أجلها ، مقابل العرف والتقاليد المتمثلة فى سلوك الأم ورفضها الإقامة مع مطيرية تنتمى لجنس العبيد أو ملحقات القبائل الذين يقومون بأعمال الخدمة لهؤلاء السادة.

إن هذه القصة على قدمها تمثل لنا حياة البادية حيث التنقل من مكان إلى مكان ، كما تمثل قيمة احترام الآخرين فالحرب قامت لأن الأمير المسعودى لم يحترم مقام الأمير العقبى فقام بالانشغال عنه وتركه من أجل هذه الفتاة فاعتبرها العقبى إهانة له فكانت الحرب التى مات فيها الكثيرون من أجل إرساء مبدأ احترام الآخر وعدم جرح مشاعره ، فكان الواجب أن يعتذر عما فعله ولكنه لم يفعل وهذه حمية لا طائل منها وسلوك قد يعقب وراءه أرواح تزهق ولكنها تقاليد البادية التى جبلت على احترام الذات وقتل النفس من أجل الكرامة والأنفة والكبرياء.

ويمكن أن نستخلص بعضاً من سمات هذا المجتمع مثلتها تلك القصة وعبرت عنها منها :

١-أنه مجتمع مترحل غير مستقر من أجل الكلأ والمرعى.

٢-أنه مجتمع قبلى يضم فى طياته تعصباً ومنهجية وأنفة ، كما أنه مجتمع فى المقابل مستهتر لا تهمه أرواح الآخرين من أجل إثبات ذات جبلت على اعتبار الآخر غير ذا اعتبار فليس مهماً أن تزهق أرواح ولكن المهم عدم الإهانة ، فهو مجتمع متهور لا يقدر عاقبة الأمور ويسير نحو ملذاته غير مبال بما قد تجلبه عليه هذه الملذات وعلى قومه من خراب وموت.

٣-أنه مجتمع طبقى فيه السادة وفيه العبيد ولا مكان إلا إلى الأقوى بدليل الحرب التى قامت وكان من الممكن ألا تقوم إذا اعتذر الآخر ولكنه لا يعتذر لأن الاعتذار يعتبر إهانة بالنسبة له.

٤-أنه مجتمع يحترم الأم ، إذ رضخ المسعودى لكلام أمه دون أن يناقش وهذا دليل السلبية والقبلية المتعصبة للجنس واللون دون مراعاة لأى شعور أو عاطفة.

هذا ما يمكن أن نستخلصه من هذه القصة ولكن ليس معنى ذلك أن هذه سمات عامة يمكن أن نسم بها مجتمعاً مثل هذا المجتمع ، فليس الحكم على مجتمع من خلال قصة فقط بل يجب دراسة أكثر من نموذج لنقف فى النهاية على سمات عامة تحدد هوية هذا المجتمع وتمهد الطريق لدراسته والوقوف على أسراره وخوافيه لذلك اقتضت الدراسة الإتيان بأكثر من نموذج حتى يمكن أن يكون الحكم فى النهاية صادقاً أو مقارباً للصدق لنقف إلى حدود هذا المجتمع البدوى ومدى فكره ومنهجه وعاداته وتقاليده حتى يمكن أن نسمه فى النهاية بسماته الحقيقة.

نماذج من قصص البادية

حظى الشعر البدوى بنماذج كثيرة للشعر القصصى ، ولا نبالغ إذا قلنا إن معظم الشعر البدوى مرتبط بقصة معينة ، وغالباً ما تنتهى بحكمة أو بقيمة فاضلة.

وتتجلى الدراما وتظهر بين الأبيات بصورة عالية ، وقد بقى الشعر القصصى محفوظاً فى الصدور ومعروفاً لدى الجميع ، لأن النفس - بطبيعتها - دائماً تحفل بالحكاية أو "الحدوتة" وتتوارثها الأجيال ، ويحكيها الآباء للأبناء وتتناقل بالمشافهة والقص وأسلوب الحكايات الشعبية الجميلة.

وقد اندمجت القصة الشعرية فأصبحت نسيجاً لا ينفصل عن مضمون الشعر لأنها فى الأصل شعر ولا نستطيع أن نفصلهما لارتباطهما بخط درامى وحدث مشترك وفى أغلب الأحيان قد لا نفهم هذا الشعر دون أن نشرح مناسبته أو القصة التى من أجلها قيل وليس معنى ذلك أن الشعر القصصى شعر مناسبات يؤلف خصيصاً لهذا الغرض ، بل هو نموذج مطبوع وإن أملته الأحداث فإن الراوى أو الشاعر يرتجل هذا الشعر ارتجالاً دون الإعداد مسبقاً لهذه القصيدة ومن هنا يخرج الشعر القصصى عن إطار شعر المناسبات لذا كان الشعر القصصى أنموذجاً فريداً يحكى البطولات والمواقف الاجتماعية المختلفة ويعكس مدى الثقافة للبدوى فى مواجهة مشكلة معينة.

ولذا كان الشعر القصصى هو المؤرخ و الراوى المحبب إلى النفوس ليحكى التاريخ طرائفه وحقيقته دون زيف أو تجميل وإن خرج عن الآداب العامة فى القليل إلا أنه يخرج على سبيل المزاح وليس على سبيل الإهمال للقيم الخلقية التى يتخلق بها أصحاب هذا الشعر.

فالبدو يجتمعون بالليل يتسامرون على ضوء القمر أو ضوء الشمس المنعكس على القمر حول النار المشتعلة وأكواب القهوة والشاى الساخن ، ثم يبدأ كل منهم بقص أحاديث اليوم وبعض القصص التى سمعها من أبيه أو جده أو حكاها له أحد الأصدقاء فى الصباح.

وسوف نقوم بالتعليق على القصص التى تحتاج إلى تعليق وشرح وسوف نترك بعض القصص لسهولتها - اللغوية - وجمالها ووضوحها.

وأفضل شىء نفعله ، فيما نرى ، أن نضع بين يدى القارئ النماذج الناطقة الدالة من هذا الشعر القصصى البدوى ، مهما تشغل مساحة من الكتاب تطغى على حجمه ، أو تفوق المساحة التى يأخذها أى قسم آخر من أقسامه - ولا ندعى أننا سوف نجمع القصص الشعرية كلها جميعاً فى الصفحات المقبلة ، المقبلة ، فليس غايتنا آخر الأمر أن نسوق النماذج لا الجمع الشامل - ولسوف تظهرنا القصص الشعرية على تنوع اهتمامات البدو بين القيم الخلقية العليا، وتسجيل وقائع بعينها

من الحياة ، وتفسير أحداث عارضة يعرفها أصحاب القصص وليس من شك فى أن تنوع الاهتمامات علامة على ثراء الثقافة التى يتداولها البدويون ، ويبدعون مفرداتها ، لأنها ضرورة حياة ، وجوهر الهوية ، وأقوى أداة فى ضبط المجتمع وتنظيمه.

قصة مرادي[1] :

أحب العبد ابنة سيده وكانت تسمى "مرادى" وأحبته الفتاة ، وفى يوم من الأيام خرج سيده إلى عرس لأحد أقاربه ، وترك لفتاة فى المنزل ، فاختلى بها العبد ، وعندما جاء أهلها هددته إذا لم يخبرهم بما حدث فسوف تخبرهم هى وسيقتلونه لا محالة ، وهنا وجدنا حسن التخلص عن طريق الشعر وأشارت إليه أن يتكلم فأنشد قائلاً :

والبارحة بالليل جتنى مرادى — زينة الحلا يا كاملة كل الأوصاف
ضميتها ضم بكل الأيادى — وسقيت زرع فى الحشا بعدما هاف
يا بوجعيد قبل حبل الشدادى — بالطول أم الكثر زاف ورازاف

فلما سمع أهلها بأنه ضم ابنتهم وفعل بها ما فعل رفعوا سيوفهم من أغمادها ليقتلوه وليمسحوا هذا العار فقال لهم : انتظروا حتى أكمل باقى القصيدة فأغمدوا سيوفهم وأنفسهم أحر من الجمر فأنشد قائلاً :

ولما أقبيت وطال عنى رجاأادى — غير واننى فى نجد وهى بالأرياف

[1] نقلاً عن الأستاذ / مسلم حسن عجلان ، قرية قبر عمير الشيخ زويد.

أى أنه قال أنه كان يحلم بذلك وهذه رؤيا فى المنام وليست حقيقة فهل يقتل لأنه كان يحلم؟ ! فخلوا سبيله وطردوه من خدمتهم ، ولكن ما هى إلا بضعة شهور حتى حملت ابنتهم ، وكان والدها متسامحاً فلم يقتلها وإنما بعث وأتى بالعبد وزوجها وذابت الفوارق بين الطبقات لأن البدو كانوا لا يزوجون بناتهم للعبيد ، وأصبحت القصة حديثاً للبدو فتشجع العبيد وتزوجوا من الحرائر وذابت الفوارق الطبقية - العنصرية - وأصبح الشعر بذلك ذا دور اجتماعى يخدم رسالة فى المجتمع القبلى.

ويتميز الشعر القصصى بالسهولة اللغوية والوضوح التام وعدم استخدام الكلمات الحوشية والغريبة ، كذلك يستخدم القوافى ذات الوقع الموسيقى الرنان الهادئ والمحبب إلى النفس - أى المتناغم - ويتميز الشعر القصصى بالطرافة وخفة الظل وجمال وتسلسل السرد ، والاعتماد على البحور الصافية ، كالبحر الكامل والمتدارك والرجز يشارك فى الإيقاع المتناغم حسن استخدام حرف الروى الذى يجعل الكلمات ذات جرس إيقاعى هادئ وجميل.

قصة بوكشة :

هام أحد الأعراب فى حب "بوكشة" ورأى منها ولعاً وحباً فلما أتاها خاطباً وجدها تخطب لرجل أصغر منه سنا ، وقد شاب هذا الإعرابي فى حبها فلما علم بخطبة الفتاة جن جنونه وضاق بحياته فخرج إلى الصحراء يشكو لها منشداً :

وحـــالى مثــل حـــال اليتيـــم	اللى من مكـة صبح علـى الشـام
واللى يمشـى"لبوكشـة " خطيبـى	الله يجعله ما يمشى على صح الأقدام
قــال خطبـها جــدام لا شــبيهى	واليوم شيبت من العوراض وجدام
قــال أمـهيب دافيـات الحليبــى	امدرجـــات الخويــر بـــلا رزام
قال يغضبنى فى ملعبات الدريبى	ويقوم الليل لا الولـد حيث ما قام
قالت أنت الشايب وعقلك خريـبى	والبنت لا ترضى على الشايب التام

فهو يصف حاله هنا باليتيم فقد سار مسافة كبيرة من مكة إلى الشام ، وحينما وصل إليها فى الشام ليخطبها وجدها قـد خطبت لشاب صغير ، وهو رجل قد علاه الشيب ، فكيف تقبل الفتـاة التى فى مقتبل العمر رجلاً عجوزاً ؟ ! وهل ستفضل العجـوز على الشـاب ؟! إنها مفارقة صعبة ، فذهب قاطعاً الفيـافى ينعى حظه ويتذكر أيام الشباب فهو لـو كان شاباً - الآن - لرضيت به وتزوجته.

وهنا نرى استخدامه للكلمات الموحية ذات الدلالات العميقة فوصف نفسه - فى البداية - باليتيم وهو تشبيه جيد ، حيث شبه حالته فى قولى (وحالى) وهذا هو المشبه "باليتيم وهو " المشبه بـه " وأتى بأداة التشبيه " مثل" ويوجه الشبه وهو إغترابه وإغتراب"اللى من مكة صبح على الشام " وهذا تشبيه متكامل الأركان، وقد أفا د هـذا التشبيه فى تصوير حالتـه النفسية، ثم نـراه يدعـو علـى كـل خـاطب لحبيبتـه بوكشة بأن يبتليه الله بمرض فى أقدامه ، ثم نراه يفرق بين حالته وهـو عجوز بحاله الشاب اليافع الصغير وهو متأثر من قولها لـه:"بأنه شيخ قد أصابه خلل فى عقله فظن أنها ترضى به بدلاً عن الفتى اليافع ". ونرى

تكرارا استخدام الفعل "قال "، " قالت " لنرى عظمة الدراما فى الحوار وسهولته دون تكلف أو اصطناع لأنه يتحدث بوله ، والواله لا يتكلف أبداً.

قصة خليف وحبه للبدوية :

كان خليف عبداً ، وكانت بين قومه وبين قبيلة مجاورة عداوة لكن خليف أحب ابنة شيخ القبيلة المعادية لقومه ، وكان خليف فارساً شجاعاً ، فكان يغير على الأعداء ويكسب منهم الكثير من الإبل والنوق والمراعى والأرض ، ولم يكن يهمه أو يروقه إلا أن ينظر إلى أعدائه وهم صرعى ، ولا يعجبه إلا صليل السيوف وصوت الرماح ، وكانت تسليته المحببة أن يرفع سيفه عالياً نحو السماء فيبرق السيف ويتلألأ ولكنه فى يوم من الأيام وقع أسيراً فى أيدى أعدائه فأحضروه إلى شيخ القبيلة ، فشاهدته ابنته - حبيبته - وهو أسير مكبل بالقيود والأصفاد وقد هموا أن يقتلوه فأرادت حبيبته أن تنقذه فذهبت إلى أبيها وأخبرته بأن الأسير عبد ، والقبيلة لا تقتل العبيد بل تجعلهم من الموالى والخدم فى القبيلة ، فتركوه وهى إنما قالت ذلك ليصبح حبيبها إلى جوارها ولكن خليف غضب إذ وسمته بالعبد وهو الفارس الشجاع ولم يحتمل قولها فأنشد قائلاً :

استغفرى لربكى يا بنت أم العشاشيق ... فى قولكى عبد من عبيد الموالى
كلنا عبيد لله زين المخاليق ... يا بنت مما جرى هدى احوالى
أنا "خليف" يا بنت لنا شفات الريق ... جرايهن لو حدث ليهن جفالى

يا كسبكم منا بكارا صعافيــق   ويا كسبنا منكم جز اللحى والرجالى

فأعجب شيخ القبيلة بشجاعته واصطفاه لنفسه فلما علم ما كان من أمر ابنته وأنها تحبه سر أيما سرور وزوجها لهذا البطل الشجاع ، ولما علم أهله وقبيلته بما حدث أعدوا العدة وذهبوا للقبيلة وتم الصلح بين القبيلتين نتيجة لأجل النسب والمصاهرة وأقيمت الأفراح وحل السلام بعد طول عداوة ومنازعات . إذن الشعر كان يلعب دوراً اجتماعياً عظيماً فى إزالة الطبقات وتذويبها ، وفى إحلال السلام والأمان بين القبائل ، ولهذا صدق المثل القائل "بأن الكلمة أقوى وأمضى من السيف" وأن الشعر هو الكلام البليغ وهو ديوان العرب وتاريخها العظيم.

"قصة ابن غبن وضيوفه":

قص الشيخ "حسين سلامة الزميلى من قبيلة" الاحيوات" قصة ابن غبن فقال [1]: "حدث أن كان رجال قبيلة "الاحيوات " فى غزوة وكان ينتظر عودتهم الشيخ "طوق " وهذا اسمه .. وهو رجل كبير السن ، وعند عودتهم طلب الشيخ "طوق" أن يقوم كل عشرة رجال بذبح "عنزة " لطعامهم ، لكن الرجال أبدوا عدم رغبتهم فى أكل اللحم فأمر لهم الشيخ "طوق" بالدقيق والسمن فصنعوا منه "الفت" - طعام - وأكلوا وشبعوا، وعندما هموا بالانصراف سأل الشيخ طوق عن

---

[1] "القضاء العرفى فى سيناء" كمال عبد الله الحلو ، سعيد ممتاز درويش ، متحف التراث السيناوى بالإشتراك مع السفارة الهولندية ١٩٨٩م.

أكبر الرجال سناً فقالوا له إنه "ابن غبن" أكبرنا فقال له الشيخ "طـوق" :"أنا داخل عليك في مغنى الركاب" أي هل أنت تكفل عدم استهزاء الشعراء بي لعدم الذبح لكم وقد كان الشعراء إذا لم يأكلوا اللحم قاموا بهجاء الرجل فلا يقوم لـه مقام بعد ذلك في القبيلة - فقال له "ابن غبن " : "دخلت وسلمت" وفي الطريق هجاه أحد الشعراء قائلاً :

طـوق يـا فسـوة عجـوزة　　　مـا دسـم اللحـاه

وهو هنا يقصد اللحى وأنه لم يطعمهم لحماً دسماً تظهر آثاره على لحاهم لأن اللحم يلتصق آدامه باللحى غالباً فرد عليه "ابن غبن" بقوله:

يـا عبـد يـا أبـو تمامـة　　　طـوق ماجـه للملامـة

القمـح والسـمن متلـل　　　ولغنـم علـى المثامـة

ثم قام "ابن غبن " فأخرج السيف وقطع يد الشاعر لأنه هجا الشيخ "طوق" وهو في حمايته، فلما ذهبوا للقاضي ليحكم في القضية واستمع للقصة ، اعتبر القاضي أن قطع يد الرجل حق للشيخ طـوق أما الكفيل - أي ابن غبن الذي أدخل الرجل في حمايته ليحميه من استهزاء الشعراء - فقد أخرج القاضي راية بيضاء وأعطاه له للدلالة على أنه أدى واجبه عندما كفله من الهجاء ومنذ تلك اللحظة أصبحت مثلاً في "بياض الراية" التي يخرجها القاضي في أحكامه.

من هذه القصة نستطيع أن نرى مدى الدور الخطير الذي يلعبه الشعر في الدفاع عن الكلمة وعن الكرامة وأن الكلمة أقوى من

السيف ، وأن تقاليد البادية يجب احترامها فها هو جزاء الشاعر الذى ذم الشيخ "طوق" واتهمه بالبخل - وهو كاذب يلقى الجزاء الصارم بقطع يده. إنها حياة البادية بقيمها النبيلة وليست قصصاً تقال للتسلية والمتعة بقدر ما فيها من حكم وأمثال ومواقف فيها دستور البادية العظيم الذى لا يعادله دستور آخر فى حياة المدينة وصخبها.

عشق الحياة والحب العذرى :

رقد الشاعر على فراش الموت ، يشكو الصبابة والوجد، ويطلب أن يرى المحبوبة قبل أن تموت ، وقد جاءت حبيبته فدار بينهما حوار طويل يقول العاشق :

امهل على يا موت لك الهجور المهالى
لما أسال العين بـرواك
(فردت عليه محبوبته)
الموت إن جانا ما أخذنى لحالى
بياخذ الروح وبيرمى الجتة
على الأرض ما ألقاك
(فرد عليها)
أنا لو أشوف الموت واقفل بالى
لطلق عليه من "الصواريخ ما كفاه
واستيسره فى سجن ظالم وحالى
وأجيب له كرباج وعبد يتولاه

وأوريـــه كيـــف ابـــن آدم يـــوم تـــولاه

(فردت عليه)

مـــــا بينفـــــع إن جانـــــا المـــــوت

مـــــا أخذنـــــى لحـــــالى

تـوب للمـولى عزيـز الجلالـة واطلـب الله

وصلنـــا تســـامحنا وســـبنا القتـــالى

فهو هنا لا يريد أن يموت ليبقى إلى جوار محبوبته ولكنـها طلبت منه أن يذكر ربه وأن الوصال فى التسامح فهى هنا لم تبك ، بل كانت رابطة الجأش تصبر وتحتسب.

ونحن نرى جودة الحوار وسهولته ومدى تمكن المرأة فى الرد والإجابة علاوة على قوة الإرادة والإيمان بالله الواحد القهار وأن النفس أمانة يستودعها لدى الإنسان ثم يأخذها أيان شاء سبحانه وتعالى.

قصة بئر قشران :

كان لدى أحد الأعراب ناقة ، وكانت هذه الناقة تساعد الأب فى حمل جرار الماء من "بئر قشران" التى تبعد عنهم ، وأراد ابن هذا الرجل بيع الناقة فعز على والده بيعها : فما كان من الأب - فى غفلة من ابنه - إلا أن كسر جرار الماء التى تحملها الناقة ، وبعد السير فى الصحراء عطش الولد فقال الأب[1] :

---

[1] نقلاً عن الاستاذ / سالم مصطفى سالم ، مكتب وزارة السياحة.

وردنــى علــى بـير قشــران	وردنـــى ورجلـــى حفيـــة
يدعـــى ربــك بالتســـاهيل	ولا يدعى بفراق حسن البهيـة

أى أنه يقول لولده أن الناقة هى التى تأتى بالماء فكيف إذا بعتها؟ ! إن النتيجة لذلك أنـهما سـيقومان بحمـل المـاء سـيراً علـى أرجلهم الحافية والوالد وولده يئنان تحت شمس الصحراء المحرقة فعرف الولد قيمـة الناقة فتراجع عـن بيعها . هكـذا يكـون للشعر الدور الأكبر فى إصلاح العقول وضرب الأمثلة وفى تسيير الأمـور فى الباديـة المتسعة المترامية الأطراف.

قصة العبد والبدوية :

سافر البدوى وغاب عن زوجته فـترة طويلة ، وبعد عدة أشهر عاد إلى بيته ، وكان الظلام قد حل على الدنيا فسار فى هدوء ، لكنه سمع صـوت زوجته وهى بأحضـان أحـد العبيـد فنظـر إليـها دون أن يشاهداه وفى الصباح رجع إلى زوجته واستقبلته بالعناق والترحيب ولم يتكلم الرجل ، فلما جاء المسـاء أرادت الزوجة أن تختلى بزوجها وكان اسمه "عيد" ، لكن زوجها ابتعد عنها فلما سألته عن سبب ابتعاده وعزوفه وهى مشتاقة إليه أنشدت المرأة قائلة[1]:

يــا عيــد يــا عيــد المقـــاوة	منــامك ليــه مــا تنــام فيــه

(فرد عليها قائلا)

أنــا عيــد وعيــد المقـــاوة	منــام العبــد مــا بنــام فيــه

---

[1] نقلاً عن : "عيد سليمان اشتيوى" الفرقة القومية للفنون الشعبية – قصر ثقافة العريش.

(فردت قائلة)

يـا عيـد يـا عيـد المقـاوة　　　قـول النـاس لا تـردن عليـه

(فرد عليها قائلاً)

قال : أنا عيد وعيد المقاوة　　　شوف عينى مـا بكـذب فيـه

وقام إليها وذبحها ثم قام ودفنها حتى لا يلطخ اسمـه فـى القبيلة.

إن شعر البادية القصصى شعر رقيق على النفس محبب إليها تتجلى فيه الدراما لتصبح سمة أصيلة لهذا الشعر.

هكذا تمثل لنا الحكاية حياة البادية حياة تحكمها التقاليد الراسخة ، حريصة على الشرف والوفاء ، تحتقر الخيانة إلى أقصى مدى فالبدوى شهم ، ولكنـه يرفض أن تخونه زوجته، ولا يراها مع الخيانة جديرة بالحياة ، ويرى أن الخلاص منها تطهير لحياة البدو من إثمها الشنيع . ولا تخلوا القصة من جودة الحوار وقوته ، بين الرجل وزوجته فكان الحوار ذكياً ، لا يصرح ولكنه يشير ، يتوسل بالشعر ، فيدخل الشعر خباء المرأة ، لا لأجل الغزل ، ولكن لفضح سلوكها المشين ، وإلجامها عن الكذب . ومن براعة القصة أن المرأة تجارى الرجل فى حوار الشعر ، بل إنها لتبدأ الحوار ويجيبها الرجل ، ويلتزمان وزناً واحداً وقافية واحدة ليزداد الحوار اتساقاً ، ويطوع القاص الشعر للحوار قبل أن يطوعه أحمد شوقى ، وعزيز أباظة ، وغيرهما من أساطين المسرح الشعرى العربى الحديث.

الفتاة والعجوز :

خطب رجل عجوز طاعن في السن فتاة صغيرة ، ولما جاء أولاد عمها فنظرت إليهم ووجدتهم شباناً يافعين ، فحزنت على حظها العاثر وأنشدت قائلة :

عينى لن رأت طير بيغير جنوسه

وأبوى باعنى للعجوز من كترة فلوسه

فلما سمع أولاد عمها بذلك رفضوا تزويجها للعجوز وتقدم أحدهم لوالدها ليتزوجها فما كان من عمه إلا أن رضخ لابن أخيه وزوجه ابنة عمه لأنه أولى من الغريب وكان بيت الشعر هذا سبباً في تغير الحال فأصبحت سعيدة بعد أن كانت ستتزوج العجوز.

وهى تقول بأنها لم تر طائراً يغير جنسه فلا يمكن "للصقر أن يتزوج " ببومة" ولا يمكن للحمامة أن تتزوج غراباً ، وهى البكر الجميلة فكيف تتزوج عجوزاً غير مناسب لها.

وهى تقول أن المال هو سبب ذلك ، فهى يهذا البيت قد استنفرت رجولة أبناء عمها وأتت بعدة تصاوير حسية جميلة كقولها "عينى" وأتت بالفعل "رأت" لتدل على انكسارها ،ثم مثلث " بالتشبيه الضمنى "الجميل في تشبيهه حالة بحالة أو هيئة بهيئة فحالتها كحالة الطير الذى يغير جنسه وأتت بكلمة "جنوسه " جمعاً - للنسبة - للتأكيد على الحالة النفسية الحزينة التى تعانى منها ونجدها تستخدم "التصريع " والقافية الرقيقة "الهاء" واستخدام حرف الروى المعتمد

على الهمس الرقيق " السين " الذى يؤثر فى القلوب ويدميها ، ومن هنا رق قلب أولاد عمها ولم يوافقوا على هذا الزواج.

قصة راعية الغنم :

سارت الفتاة فى الخلاء ترعى الغنم ، واشتدت حرارة الشمس فجلست تحت شجرة تحيك ثوباً ، فجاء رجل يغازلها فأمسك بالإبرة والخيط والثوب حتى تتكلم معه وتبادله الوله والهيام فقالت له:

حــــط لثـــوب وإبرتـــــه فوقـــــه

لعجمك قـول مثـل المـر مـا تطوقـه

ونطـو رسـك قيـد ونكسـر ارجيلاتـك

غربـى عربنـا تلحـظ تلاقـى أخيـاتك

فهى تحذره إن لم يترك الثوب والإبرة ويذهب لحال سبيله فإنها سوف تقول له قولاً يعجمه أى يجعله يقف مشدوها لا يستطيع الكلام ، ثم وصفت هذا القول بأنه مثل المرار وهو لن يطيقه وهذا تشبيه جميل ، كما أن تكرار فعل الأمر (خمس مرات) يدل على شدة لهجة التحذير وقوة الألفاظ ، وأتت بالتصغير فى كلمته " ارجيلاتك" لتدل على التحقير والاستهانة به ، وهذا دليل القدرة والقوة ، ثم أمرته فى النهاية أن يتلحظ ، ولنتأمل قولة" تلحظ" النادرة فى الاستخدام أى تدعوه ليجيل النظر هنا وهناك ، وليكثر اللحظ وهذا استخدام جديد لفعل غير مطروق.

فهى هنا تحقره وتعنفه ، ونلاحظ استخدام "حروف القلقة" مع استخدام القافية المرققة (حروف اللهاه) - الهاء - لتدل على هدوء النفس بالنسبة لها ، كما تدل على الاستهانة به وعدم الاكتراث وهذا تصوير جميل يدل على مدى رسوخ القيم عند هذه البدوية الأصيلة التى لم ترتض أن تدنس عرضها أو تغازله غزلاً بغزل وما يعقبه من موبقات خسيسة وهنا يظهر معدن المرأة الأصيلة.

كما نراها تستخدم "التصريع" المنفصل لكل بيت ليدل على قوة الموسيقا الجزئية فالتنوع فى استخدام الموسيقا واستخدام القونيمات الصوتية المتناغمة يعطى الأبيات قوة وجمالاً. كما أننا نرى أن كل حرف له معناه وليس حشوًا زائدًا، فحرف العطف يأتى للتأكيد ولتقوية المعنى، وظرف المكان "فوقه" يأتى للتأكيد والدقة فى الوضع المكانى المنبثق من فعل الأمر "حط" أى اترك وتدل على الترتيب فهو سيضع الثوب ثم بعد ذلك - بالترتيب - سيصلح الإبراة ولكن موضع الإبرة كما تطلبه يكون محددًا "فوقه" أى لم تقل "اترك" أو "ارم" وإنما قالت "فوقه" وهذا دليل تمكن وأسلوب تحذير ووعيد وإذلال للرجل وإلا ستفعل به الأفاعيل.

العجوز الهاربة :

الشيخ "عيد أبو جرير" رجل من الصالحين، له صيت ذائع فى سيناء، وله مقام ومريدون، وقد دعا العشائر والقبائل إلى التمسك بدين "الله عز وجل" وبدأ يبنى للبدو "زوايا" أى أماكن للتعبد

وحلقات للذكر واجتماعات لتدارس أمور الدينوالدنيا، فتبعه الكثيرون، وله ديوان شعر مطبوع بعنوان "بستان المحبة" شعر صوفى - ولكن أحد الرجال - عجوز - لم يرد أن يكون من أتباع الشيخ "عيد أبو جرير" فإذا ظل فى القبيلة فسيشعر أنه منبوذ، فسار من سيناء قاصدا اللجوء إلى جبل "عجرود" بمدينة "السويس"، وفى طريق سيره وجد فتاة ترعى الغنم، ورأته حاملا متاعه فسألته عن وجهته وإلى أين يقصد فأجابها بقوله :

وأن سـألوك عنـــى قـــولى   شفته شايب وعيونـه سـود

شـــارد عـــن الزوايـــا   وده جبـــل عجــــرود

فهو هنا كثف الحديث وأنه هارب من الزوايا ومجالس الذكر لأنه لا يطيق المداومة على شىء يتكرر يوميا وهو حر طليق لا يحب التقيد فى الزوايا، فرجعت الفتاة وأخبرت القوم بما حدث فضربوا كفا بكف محو قليل - لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم - وداعين للرجل بالهداية والعودة لطريق الإيمان.

وهذا يعكس مدى التدين فى سيناء، بل وانتشار الطرق الصوفية ومجالس الذكر فالذى يدافع عن الحق والخير والجمال والعدل والحرية لابد أن يكون صاحب عقيدة راسخة - متدينة - يستمد منها أسباب الحياة فى حله وترحاله وفى كل أمر وشأن فى حياته.

قصة المولود الجديد :

كان لأحد الأعراب زوجة لا تنجب إلا البنات فقط وتوعدها إن أنجبت بنتاً ليتركن لها البيت ، وبالفعل أنجبت امرأته بنتاً ، وكانت تسكن إلى جوار هذه المرأة شاعرة صديقة لها فحكت لها الأمر ، فأمرتها بالصمت وأنها ستتولى أمر زوجها ، فلما جاء الزوج وسأل عن المولود قالت له الشاعرة" أن زوجته أنجبت ولداً" على الفور طار الرجل إلى السوق وأحضر كل شيء لزوجته واشترى كل ما يلزم للمولود ، وحينما عاد ، ودخل المنزل والسعادة تغمر وجهه فأنشدت المرأة قائلة [1]:

مرت الفهد جابت فهد زيه   الأوله عالية والميخرة عليه

أي أنها تقول له : أن امرأته جاءت بفهد ، واسمه "عالية" وهي لا ذنب لها لأنه هو الذي يضع البذرة فرضخ الرجل لأمر الله واستعاذ بالله واحتضن ابنته. وهكذا نرى دور الشعر في الإصلاح الاجتماعي وتقويمه للأمور وإصلاح شأن القبيلة والمجتمع.

---

(1) جريدة سيناء الإقليمية ، على هامش التراث أبريل ١٩٩١م.

الراعى والشيخ الحكيم

يحكى أن رجلاً قد ضاقت به الدنيا وأغلقت أمامه كل سبل العيش فاضطر أن يفارق زوجته بعد زواجه منها بخمسة شهور فهام على وجهه فى بلاد الله بحثاً عن عمل وبعد مسيرة شهور عثر على عمل راعى أغنام لدى شيخ كبير لم يمن الله عليه بالخلف فاتخذ منه هذا الرجل ولداً وبعد أن قضى الرجل عشرة أعوام عند الشيخ ... قال له ذات مساء : يا عم الشيخ " البلاد طلبت أهلها" أى أنه فى شوق لرؤية بلاده ويريد العودة إليها فقام الشيخ وأعطى الرجل عشرة من الإبل قائلاً هذه لك فى مقابل خدمتك عندى فى الأعوام السابقة ...

وفى صباح اليوم التالى قطر الرجل الإبل وقبل أن يهم بالمغادرة وبينما كان الشيخ يودعه ... قال الشيخ للرجل : يا بنى قبل أن تفارقنى أود أسدى لك بنصيحة قال الرجل : قل ما عندك يا شيخ قال الشيخ : ولكن ثمن النصيحة جمل يا بنى ، فوافق الرجل فقال الشيخ : "يا بنى إياك أن تنام فى مجر السيل" أى إياك أن تنام فى مكان تجرى فيه أو تسيل مياه الوادى أو السيل.

فشكر الرجل الشيخ ... الذى بادر الرجل بقوله ولك عندى نصيحة أخرى بنفس الثمن ... فوافق الرجل على مضض ... فقال الشيخ : يا بنى "مطرح ما تمسى بات" أى إذا حل عليك المساء فى

أى مكان فيجب أن توقف سيرك وتعد نفسك للمبيت فيه ، وقبل أن يشكره الرجل بادره الشيخ قائلاً : لك عندى نصيحة ثالثة فقال الرجل بتأفف : هات ما عندك يا شيخنا فقال الشيخ يا بنى "لا تمرق على فرح غير إتفاول منه" أى إذا مررت بمكان ووجدت به عرساً أو حفلاً فلا تتركه قبل أن تأكل من طعامهم وعندما أتم الشيخ حديثه قال الرجل مازحاً للشيخ : ألا يوجد عندك نصيحة أخرى فضحك الشيخ وقال للرجل : بجمل فوافق الرجل ظناً منه أن الشيخ يمازحه ولكن الشيخ مد يده واقتاد جملاً من إبل الرجل ولم يكن أمام الرجل بداً من الموافقة ...

وبعد أن سحب الشيخ الجمل التفت للرجل قائلاً : يا بنى "بات على الندم ولا تبات على الدم" وبعد أن أتم الشيخ كلامه استودعه الرجل قبل أن يخسر المزيد من إبله وبدأ الرجل مسيرة العودة يقطع سبلاً ووديانا وجبالاً ، وحينما حل المساء إذ به يمر على بعض البدو الذين يسكنون منطقة منخفضة وهى عبارة عن "مجرى وادى" ، فاختار الرجل موقعاً مرتفعاً بالقرب منهم وقيد إبله ونزل عليهم وحينما حان موعد النوم تركهم وذهب التحف بعباءته ونام بجانب إبله ، وحينما استيقظ فى الصباح التفت نحو هؤلاء القوم ولكنه لم يجد منهم أحداً ، فقد حدث أن عصفت موجة شديدة من الأمطار فأدت إلى جريان المياه فى مجرى الوادى فاكتسح السيل كل ما قابله ... فحمد الرجل الله حيث نجا من هذا السيل ، وتذكر نصيحة الشيخ

له ... وواصل سيره ، وبينما كان سائراً وإذ بـه يلحظ شيئاً يبرق كعيـون البوم بين الصخور فترجل عن جمله وإذا بـه يجد جرة صغيرة مليئة بـالذهب ، فحمـد الله شاكراً ووضعها فـي خرج جمله وواصـل سيره .
وبعد مسيرة ما يقرب من الساعتين وإذا برجلين كلاً منهما يمتطى جمله يعترضـان طريـق الرجـل ... فسألاه عـن وجهتـه فأجابـهما ... فقـالا : وجهتك هـى وجـهتنا ... وأثنـاء سـيرهما أحـس الرجـل بـالغدر فـي عيونهما وأحـس بأنـهما مـن قـاطعي الطريـق ، وبينمـا ثلاثتهم يمخـرون عباب الصحـراء أخـذ الرجـل يفكـر كيـف ينجـو منهما ... وبعـد الغـروب بقليل وفى أثناء سيرهم سمعوا صوت طبل وزمر ، فتذكر الرجل نصيحة الشيخ الذى قال له "إذا مرقت على فرح لا تتركه قبل أن تتفاول منـه" فعرض الرجـل علـى رفيقيـه أن يعرجـا معـه ليشـاركوا القـوم فرحتـهم ولكنهما رفضا ذلك بحجة أنه لم يزل أمامهم سفر طويل ...
وكـان الرجـل يعرف ويدرك بأنـهما لـن يدعانـه يذهـب لشـأنه فهداه تفكيره إلى أن يعرض عليهما أن يـترك لهمـا إبلـه ويذهـب هـو للعروس ... فوافـق الرجلان وكـان هـذا مرادهمـا ، فـترك الرجـل كل شىء ونجا بنفسه . وواصل الرجلان سـيرهما بعد أن قطرا إبـل الرجـل خلفهما . وحينما صارا على مقربة من بلدة صغيرة اقترح أحدهمـا على الآخر بأن يذهب لشراء عشـاء لهمـا وبعـض زوادة الطريـق ، بينمـا يظـل الآخر فى حراسة الإبل ، وذهب أحدهما ، وبعد أن تسوق وقفل راجعاً وسوست له نفسه بالتخلص من رفيقـه لكـى يغنـم بـالإبل لنفسـه فاشترى

سماً ودسه لصديقه فى الطعام ، وقد فكر صديقه الآخر فى التخلص من رفيقه عندما عثر على جرة الذهب فى خرج الجمل ، وعندما وصل الرجل وضع الرجل الطعام أمام صاحبه وأخذ يحثه على تناوله ، ولكن الآخر لم ينتظر طويلاً حيث غافل صاحبه وقام بطعنه بخنجره عدة طعنات ولم يتركه إلا جثة هامدة . وبعد ذلك جلس الرجل يتناول الطعام بسرعة لكى يواصل مسيرته ولكنه ما كاد ينهى طعامه حتى أخذ يتلوى كالثعبان من السموم التى سرت فى دمه وما هى إلا لحظات حتى فارق الحياة.

أما الرجل الذى ذهب للعرس ليشارك القوم فرحتهم فقد اتخذ له جانباً وتلحف بعباءته ونام وواصل سيره فى الصباح مقتفياً آثار الأقدام ... وأخذ يقتفى آثار إبله وحينما أطل على البلدة ، وإذا بإبله باركة وبالرجلين ممدان بجانبهم فظن الرجل بأنهما يستريحان من عناء السفر ولكنه ما إن وصلهما حتى وجد أحدهما غارقاً فى دمائه، واتجه نحو الآخر وأخذ يهزه فوجده جثة هامدة بلا حراك ...

فحمد الرجل ربه على أنه وجد إبله وذهبه كما هو فاعتلى ظهر بعيره واقتاد الإبل الأخرى وواصل سيره متجهاً نحو بلدته وبعد مسيرة ما يقرب من شهر وصل الرجل ، فأخذ يتلمس الطريق إلى بيته كما هدته ذاكرته فى عتمة الليل ... وكانت المفاجأة حيث وجد رجلاً يشارك زوجته فراشها ، فاستل سيفه ليقضى عليهما ، ولكنه تذكر نصيحة الشيخ الذى قال له " بت على الندم ولا تبات على الدم" فأعاد سيفه

في غمده وانسحب بهدوء ، واتخذ له مكاناً بالقرب من البيت رقد فيه حتى الصباح ، ولكنه لم يستطيع النوم حتى أشرقت شمس اليوم التالى فخرجت زوجته وأصابها الهلع حينما رأت الإبل والرجل راقداً بجوارها فنادت على ولدها وأخبرته ، فتقدم الولد نحو الرجل ، وحينما اقتربت المرأة وولدها من الرجل ، عرفت المرأة زوجها وأخبرته بأن هذا الولد هو ولده من صلبه . وحمد الرجل ربه بأنه لم يقم بقتلهما حين ظن بأن زوجته تخونه مع آخر ، وتذكر نصائح الشيخ وأخذ يتمتم قائلاً : صحيح النصيحة تساوى جملاً ... فلولا هذه النصائح ما وصلت ... واحتفل الجميع بعودة الرجل الغائب ... وأقيمت الأفراح والليالى الملاح.[1]

[1] عبد الله عطية السلايمة ، سيناء ثقافة وتراث ، مخطوط ، قصر ثقافة رفح.

"هيذى بهيذى"

كان ياما كان ، نحكى من قصص العربان حكاية نمر بن عدوان ، حتى تصلوا على الرسول محمد العدنان ، كان فيه راجل عازب ، وكان بيحب واحدة وظل يخطبها أربعة عشر عاما ، وكان كلما ذهب يتم رفضه ، وكان بيحب الفتاة والفتاة بتحبه ، واتفقوا فى يوم يهربوا ، وفى الليل أعد الجمل ،وواعدها فى مكان وانتظر ، فلما اجت ركبت فى الهودج ، وسار يقطع الوهاد ، ولما نفد الماء معاهم دوروا فلم يجدوا مكان ، وشافوا جبل وفى أعلاه دخان ، فعرفوا إن فيه عربان ، أو حد ، فذهبا ناحيته فلما وصلا وجدوا صياد ذابح غزالة ، وعمال بيشويها فرحب بهم ، وسوى الغزالة على النار ولما استوت قطع للفتاة فخد وحتة لبة[1] ، وقال خد يا راجل وكل الحرمة.

فذهب وأعطاها الأكل ، قال له أقعد كل معايا ، فأكلا وشبعا وعمل لهما الشاى وأعطاهما قربة ماء وشربوا ، وبعد كده قال الصياد للراجل : هادى الحرمة من نصيبى ... فقاله : كيف أعطيك حرمتى وأنا لى ثلاثة عشر سنة وأنا بأطلبها ؟! هادا والله ما يكون . فدحرج الصياد الراجل من على الجبل فتدحرج إلى أسفل ، وأخد الصياد الحرمة إلى قبيلته ، وتبعهما العاشق وعرف اسم الصياد ، واسم قبيلته ،

---

[1] لبة : هى نوع من الخبز يسوى على النار.

وكتبهما فى ورقة ، ولم يستطيع دخول القبيلة حتى لا يقتلوه ، وفى أثناء حيرته إلى أين يذهب شاهده رجل فأدخله فى طنابته[1] وعاش نمر بن عدوان عنده سبع سنوات وكان نمر يحب زوجته فلما ظل يبكى عليها بحرقة ، ويذهب كل يوم إلى قبرها ويظل يبكى فلما رآه الرجل على هذه الحالة أنشد يرثى لحاله وحال نمر بن عدوان فقال:

نمر يا نمر يا حامى عقاب الدبيلة

يا فرز ربعك يوم توهات الدهان

مطلع نجم سهيل لى حليلة

رعر وشتن تسلى الفتى يا ولد عدوان

سياقها[2] الكرك[3] والطفيلة[4]

محددة على أربعة أركان

خدوها منى بحد السيف ولنها

بحق الله مابت ندمان

اللى هاذا أنت يا نمر من ثلاثين ليلة

وايش حال اللى له سبع سنين والقلب ولجلان

فمسح نمر بن عدوان دموعه، وعرف من طنيبه قصته، فخرج نمر بن عدوان ومعه أربعين مردوف[5] ، وثمانين رجلا ، وكل مردوف -

---

[1] الطنابة : هى الحماية.

[2] سياقها : مهرها.

[3] الكرك.

[4] الطفيلة : مكان.

[5] مردوف : جمل يحمل اثنين ، أى خرج بثمانين رجلا.

جمل - عليه راكبان وأغاروا على قبيلة الصياد ، وأعملوا فيها القتل وانسل العاشق بين الخيام وبيوت الشعر يبحث عن حبيبته ، وكان للصياد أخت يقال لها : المخبأة ، لأنها لا تخرج أبداً من خدرها فلما رأت زوجة أخيها الإعارة على القبيلة قالت للمخبأة : هيا قومي نهرب فرفضت فخرجت الزوجة ووقفت الباب الخيمة فرآها العاشق فجاء ناحيتها وقال لها : هيا لنذهب من هنا ، فرفضت المرأة وقالت، وأولادي لمن أدعهم ولكنني سأجعلك تنتقم من الصياد فقال لها : كيف ؟ فقالت : خذ المخبأة أخته ، فذهبت المرأة و أركبتها جمل حبيبها الأول وربطتها فأخذها وسار ، فقابله نمر بن عدوان فسأله فقال : هيد بهيد ، أي هذه أخته بدلا من حبيبته التي أخذها.

فأخرج نمر بن عدوان الورقة وشيعها - أي بعثها - لشيخ القبيلة، وطلب منه ثلث مال القبيلة ، وثلث عيالها وثلث حريمها ، فجاء الشيخ وقال : أعطيكم كل ما أملك عدا النساء ، والأطفال ، فأخذوا من السلائب والأغنام وأخذوا أخت الصياد ، وقفلوا راجعين وظل الرجل يردد "هيد بهيد" وأصبح مثلا في العرب على أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة وأن الظلم عاقبته وخيمة وهذه القصة تذكرنا بالمثل العربي القائل : "دقة بدقة ولو زدنا لزاد السقا" [1]

[1] نقلا عن رواية : عايش أبو جبر.

عمر الكريم ما يضام

صلوا على الهادى وزيدوا النبى صلاة ، كان فيه ناس بظعنهم إلهم ناس غايبين من مدة طويلة راحوا ركبوا إبلهم ونياقهم مسافرين فى البلاد بيدوروا على جماعتهم ، عرفوا أن العرب موجودين فى مكان بعيد وأثناء هم فى رحلتهم نفد زادهم وزوادهم ، ومروا على واحد عنده جمال وغنم وبقر وعنده الخيرات لا تحصى ولا تعد ، قالوا تعالوا نسأل البيت هادا يمكن نلاقى ميه ولا زاد أو زواد ، وخبطوا على البيت ونادوا : يا أهل الله يا أهل البيت سلام عليكم فرد عليهم صاحب البيت : خير وايش عايزين؟ قالوا : إحنا قاصدين عرب إلنا بندور عليهم ونفد زادنا و زوادنا . فقال إلهم الرجل : قدامكو على طول اسألوا وما أنى خابر ، والله يسهل عليكو . ولم يستضفهم فقد كان بخيلا ، فمشوا وبعد سفر نهار أو أكثر ، أو أقل لقيوا عريشة ، وفيها راجل مقطوعة ثيابه فقالوا لبعضهم : وايش نعمل عنده؟ هادا لا عنده زاد ولا زواد ، ومرينا على راجل عنده وعنده كثير وما ضايفنا ، يلا بنا ، فقال أحدهم : بس انتظروا . وعدوا على العريشه وقالوا : السلام عليكم ، فرد الرجل : اتفضلوا يا عرب فنظروا حولهم متعجبين ووجدوا أن الرجل لا يمتلك إلا ناقة وابنها ، والناقة بيورد عليها ، وبجيب الميه عليها ، وبيرحل رحولته وعفشه عليها و من مكان لمكان ، فحياهم الرجل

وقال: هاتوا الرسان ، وامسك برسان الخيل والإبل وربطهم وجاب اللى حيلته من تبن وشعير ومده أمام الخيل والجمال وقال اقعدوا وصلوا على اللى فيكو يشفع - وولع النار وجاء إلهم بالشاى ، وغطس عنهم وكانوا متعبين فناموا ، فأخذ الرجل الناقة وذبحها ووضعها فى القدر و أشعل النار ، فلما صحيوا قالوا : بدنا نمشى قال : لا والله الغداء جاى .. فرد واحد مش شايفين حاجة فقال : الخير واجد وتركهم وأحضر لهم قدور اللحم ، وأمر عجوزته تجيب الفطاير ، فأكلوا وانبسطوا لما الليل ليل ، فناموا وصحيوا تانى يوم ، والظهر بيأذن، فلما رآهم طال نومهم قال : لابد أعمل إلهم غداء فقام الرجل وذبح القعود وجهزه فلما صحيوا قالوا : يلا نمشى ، فقال : والله غير تتغدوا فتعجبوا فجاء بقدور اللحم حتى أكلوا وذهب لإحضار الحطب علشان يسوى إلهم الشاى فتعجبوا وقالوا : لازم نعرف السر فبعثوا من يستطلع الأمر وقال إلهم : إن الراجل فقير ، فلما حضر الرجل قاموا وقالوا : خلف الله عليك فقال : استنوا أعشيكم فقالوا : ايش تعشينا ؟ هتدبح إلنا العجوز ! ! ومشيوا عنه وشكروه وسافروا وهيد بهيد ، وهيد بهيد شافوا راجل فسألوه عن عربهم فوصفهم فذهبوا لعربهم ووجدوا عندهم خيرا كثيرا من طروش الغنم والبقر والخيل ، طروش كثيرة لا تحصى ولا تعد فقعدوا وأقيمت الولائم والعزائم والأفراح بمجىء أقربائهم فجلس البداعون فقام واحد من البديعة الشعار الذين جاءوا مع القوم الذين حضروا فقال :

قال : عدينا على واحد وعنده الخير كثير وعنده الغنم والإبل وما ضافنا فنط واحد فى الكلام وقال : الجود من الموجود.

فقال الآخر : ليس الجود من الموجود والجود فت كبود.

ودورك عـلى عشـى بالنـاقـة وغـدى بالقعود.

فسالوهم عن القصة فحكوا لعربهم القصة . وعندما رجعوا ومعهم أقربائهم فاتوا على الرجل الكريم فقالوا : السلام عليكم ، فرد عليهم السلام وقال : اتفضلوا هاتوا الرسان فقالوا : ايش تغدينا؟ تدبح لنا حالك ولا العجوز ؟ قال : والله ما أنى عارف أودى وشى منكم وين، قالوا :حوش هادى مائة ناقة عشار اربطهم ، وهادا طرش غنم وحصان وحمار ودراهم وملابس وعدة وفلوس فقال : وليش هادا كله ، قالوا : هادا من كرمك ، دخلنا على راجل مبسوط ما ضافنا ، ولما دخلنا عليك وأنت فقير دبحت إلنا كل ما تملك وما فكرت فى الفقر فكيف نسيبك للفقر ، هادى جزاة المحسنين فشكرهم الرجل وساروا قافلين إلى قبلتهم.

وهادى القصة خلصت ، إن كانت مليحة عليكو دبيحة وإن كانت شينة عليكو قطينة وسلامتكم يا السامعين.[1]

---

[1] نقلا عن رواية : كامل خليل الكاشف.

الصبى والبنية

كان يا ما كان ، فى مقادير الزمان - لو بيتنا قريب لجيب لكم زبيب حتى تصلوا على النبى الحبيب - عليه الصلاة والسلام - كان فيه راجل كبير فى السن (عجوز) وكان عنده واحدة جارية بتخدم على الغنم والإبل والخيل وكانت فتاة فى ريعان شبابها ، وبعد مدة من الزمان ماتت حرمة [1] الرجال العجوز ، ولقى الولية هادى قاعدة وحدها وهى لسه شابه فقال : يا بنت مازالك [2] أنت بتخدمينى ما تجوزينى ونلم الشمل على بعضه ، فاتوكلوا على الله واتزوج الاختيار [3] البنت هادى ، وعاش معها فترة من الزمن وفى يوم من الأيام مات الراجل الاختيار ، ودشر [4] الحرمة هادى وراه ، وعاشت الحرمة وحيدة وفى يوم من الأيام كان فيه شاب شاهد الحرمة هادى واستحلاها فى عينه فكلمها علشان يتجوزها فوافقت واتجوزوا ، وبعد سبعة أشهر ولدت الوليه [5] غلام فاحتار الشاب فى أصل الغلام ، وهل هوا ابنه ولا ابن الشايب اللى مات، وقامت مشكلة بين أهل الشاب

---

[1] الحرمة : الزوجة.

[2] مازالك : أى طالما.

[3] الاختيار : أى الرجل العجوز.

[4] دشر : ترك.

[5] الوليه : المرأة المتزوجة.

وأهل الاختيار اللى مات الكل بيقول هادا الغلام ابننا ، لكن أهل الشاب قالوا هادا الغلام ابننا ، ابن الشاب اللى اتجوزها من سبعة أشهر لكن أهل الرأى والحكمة قالوا اتركوا الولد لما يكبر ، ولما كبر وصار عنده أربعة عشر سنة وكان حلو وجدع وفهمان[1] اجوا أهل الاختيار اللى مات وقالوا : لازم ناخد الولد ولو بالقوة ولما شاف العربان إن الأمر هيوصل لخناقه كبيرة استحجوا [2] وقالوا ليهم : اقعدوا عند الناس واللى تحكم بيه الناس يصير فقالوا نقعد عند عرب العربة[3] فى أقصى الأردن ، فقاموا كلهم وشدوا الرحال وأخدوا الزاد والزواد ، كل منهم على حدة وركبوا فوق جمالهم ورحلوا ومعهم الغلام راكب مع أمه ، وعندما وصلوا بعد مسيرة أيام وليالى طويلة وقعدوا عند عرب العربة فى الأردن كان الوقت وقت ضحى "قبل الظهر بقليل" فقابلهم العرب بالترحاب وبركوا [4] الجمال وقالوا : هاتوا الرسان واخدوا برسان الخيل والجمال ووضعوا إلهم التبن والشعير وفتحوا للعربان المضيفة وحيوهم ورحبوا ابهم وبعد أن سقوهم وأكلوهم وأكرموهم وشربوا القهوة قالوا إلهم : وايش قصتكم يا رجال ؟ فقال أحدهم : وكان من كبراء القوم - قصتنا فى الولد هادا ، وصار الحكى حتى نهاية القصة وقال واحنا مختلفين فى النقطة هادى : هل هو ابن الشايب ولا ابن

---

[1] فهمان : ذكى.

[2] استحجوا : أى طلبوا الحجة وبيان الأمر.

[3] العربه : يقصدون العرب العاربة.

[4] برحوا : بركوا.

الشاب ؟ فرد عليهم كبير القوم اللى رايحين يحتكمـوا عنـده قـال : بسيطة ، ساهلة .. ساهلة خلاص اقعدوا ، ووجه حديثه للشاب وقاله : أنت يا ولد عمرك قد إيش فقال الشاب : أربعتاشر سنة ، قاله اسمع يا ولد : بنتى بترعى الغنم فى لط البطين[1] هادا - وشاور على البطين بإصبعه - وأنا عايزك تنزل على البنت بهدوء وتتناول من عندها أحسن خروف ، ولا تخلى البنت تشوفك ولا آثار الخروف توصل البلاد فقام الولد وذهب مثلما قال الشيخ واستكشف المكان فرأى البنت وبدأ الحر يرتفع وكانت البنت مشغولة يحلب الأغنام فجاء على طرف الغنم [2] وشال خروف وحمله على أكتافه واداری [3] عن عين البنت ورجع به، فلما رأوه آتيا يحمل الخروف هبوا من مكانهم فقال لهم الشيخ : اجلسوا ، ونادى الرجل أحد العربان وأمره بأن يذبح الخروف ويطهيه فذبح الخروف وجاء بخروفين آخرين فذبحهما وطبخوا الخرفان الثلاثة ونزلوا الأكل للضيوف وأكل الضيوف وجلسوا يتخرفوا[4] وشربوا شاى وقهوة ، وبعدين نظروا للشيخ فى قلق وحيرة ، ففهم وقال لهم : أدينا بنتخرف حتى تطلعوا راضيين والولد يعرف أهله، ومع وش المغرب عادت سراحات الأغنام وعادت بنت الشيخ اللى كانت بتسرح الأغنام والخراف ، ولما جاءت أدخلت الغنم فى مكان نومهم ،

---

[1] لط البطين : أى قلب الجبل .

[2] طرف الغنم : أى الخرفان البعيدة قليلا عن باقى قطيع الخراف فى جانب منه.

[3] اداری : اختفى.

[4] يتخخرفوا : يتكلمون ويتشاورون.

وجاءت من وراء الرواق [1] ونادت على أبيها قائلة : يا بوى إحنا إنسرقنا واتعلم علينا [2]، فرد عليها أبوها قائلا : عساها حاجة هينة [3] فردت البنت قائلة : ولكن إنسرقنا يا بوى فرد عليها أبوها قائلا : ما قصيتى الأثر فقالت : والله قصيت ولقيت الأثر جاى على بيتنا فقال : وايش أوصافه؟ فقالت : ولد جارية وحتاتة شايب ، فقال لأهل الاختيار العجوز مبروك عليكوا يا أهل الشايب الولد فاحتج أهل الفتى فقال لهم الشيخ : استنوا عليا ، وصاح فى ابنته قائلا : وكيف يا بنت عرفتى بالكلام هادا ؟ فردت قائلة : لو هو سبع ماجانى من قفاى وأنا مكومة ولا راح على طرف الغنم لأن السبع بياخد من الوسط وهادى واحدة أى ابن جارية ، فرد عليها وكيف هو حتاتة شايب ؟ فردت وقالت يومن حط الخروف على كتفه وقع ثلاث مرات فعرفت أنه حتاتة شايب وارتضى الجميع بهذا الحكم ورجعوا إلى ديارهم مطمئنين ورجع الولد إلى أهله الحقيقيين دون نزاع أو حروب " وكانت هادى نهاية القصة وتوتة توتة فرغت الحدوتة وإن كنها مليحة عليكوا دبيحة وإن كنها شينة عليكوا قطينة وسلامة السامعين.[4]

---

[1] الرواق : حاجز من البيت والقش.

[2] إتعلم علينا : أى يوجد علامات للسارق.

[3] هينة: بسيطة.

[4] نقلا عن : كامل خليل.

أبو زيد وخضر والأرملة

قيل أن امرأة أرملة ، لها سبع بنات وولد ، وقد حدث أن حكم على ابنها بالسجن ، لأنه كان مدين لرجل بأربعين جملا ، فاحتارت والدته ، من أين تجيء بالأربعين جملا لكي تنقذ ابنها من السجن ، وهداها تفكيرها أن تستنجد بالبعض من قومها ، ولكنهم لم يحققوا مرادها ، فأشار عليها البعض بالذهاب إلى أبو زيد الهلالي سلامه ، فأخذت الأرملة بناتها السبع برفقتها ، ودخلت على أبو زيد في مجلسه وقصت له قصتها.

فأمر أبو زيد رجاله بأن يجهزوا لها أربعون ناقة "أنثى الجمل" وكل ناقة خلفها صغيرها ... فاشتد غيظ زوجة أبو زيد الهلالي قائلة له : هل جننت يا "أبو زيد" إذا كنت كريما فهناك من هو أكرم وأجود منك ، فغضب أبو زيد وقال لزوجته ، أمامك ثلاثة أيام تجوبين بينها الديار لتبحثي عمن هو أكرم مني ، وكانت كلمته كالسيف لا ترد ، ولم تجد الزوجة أمام إصراره ففعلت ما أمرها به.

وندمت الأرملة على مجيئها ، لأنها تسببت في قيام مشكلة بين "أبو زيد" وزوجته ، وأحس أبو زيد بذلك ، فقال للأرملة ، خذى الإبل وفكي سجن ولدك ، ففرحت الأرملة وأخذت تسوق الإبل أمامها ، ومن فرط فرحتها نسيت أن تقول "لأبو زيد" "خلف الله عليك" أى بمعنى زادك الله من نعمته ، فامتعض أبو زيد من موقف المرأة ، وكانت قد قطعت شوطا بالإبل ، فشد على جواده وهم خلف الأرملة ، فالتفتت

الأرملة ، وإذا "أبو زيد مقبل عليها بجواده" ، فخافت المرأة أن يكون قد ندم على عطيته لها ، فأمرت بناتها أن ينخن الإبل ، ووقفت المرأة وحينما إقترب منها أبو زيد قالت : أنت ندمان ولا ندموك ارجال؟

فقال أبو زيد : لا أنا ندمان ولا ندمونى ارجال ودى أعطيكى سابقة رمح حتى ولدكى ايجيكى خيال ففطنت المرأة وبادرته قائلة خلف الله عليك أو الله يخلف عليك ، ولكنه أصر على أن تأخذها المرأة - أي تأخذ الفرس - فأخذتها المرأة الأرملة مع الإبل وذهبت بها إلى القائم على السجن ، وحين عرف الرجل بالقصة ، أخرج ولدها من السجن وأمرها أن تعيد الإبل إلى صاحبها ، أما زوجة أبو زيد . فقد هامت على وجهها ثلاثة أيام تجوب فيها الديار ، ولم تعثر على رجل أكرم من ، أبو زيد وفى الثلث الأخير من ثالث يوم ، عثرت زوجته على عجوز مسنة ، وبعد أن قصت عليها حكايتها ، أشارت عليها العجوز بأن تذهب إلى زوجها أبو زيد وتقول له : إن "خضرا" أكرم وأجود منه ففعلت زوجة أبو زيد ، مما أثار غضبه - فركب جواده يرافقه عبده أو خادمه ، وحينما وصل إلى مجلس خضر سأله خضر عن مراده فقال أبو زيد : أريد مملوكتك يا خضر.

فأمر خضر رجاله على الفور بأن يجهزوا لها فرسا ، وتستعد للرحيل مع "أبو زيد" . ولما أقبلت قال أبو زيد لزوجة خضر وتدعى "حسن" :

غنى إلنا يا حسن وقناع الحيا ما بيننا طايح

فقالت حسن :

دحروا من على إيداى طفل صغير

دحروا مـن علـى إيـداى طفـل صغير

ويـا لبنـى علـى نـهودى طفـايح

ولينـا خربـة مـا شـقها السـيل ديمـه

وارواهـا خضـر مـن إدمـوم الدبـايح

ولا ضافنـا اللـى أقمـح

منـك اليـوم قـامح

وفى هذه الأبيات السابقة توضح حسن لأبى زيد أنـه هـو السبب فى أن أخذوها أو دحروها عن وليدها الصغير الذى يطفح نهدها حنية عليه وإنها لن تجد أكرم من زوجها خضر الذى روى النجوع بدم الدبائح التى يقوم بذبحها لضيوفه وهذا كناية عن شدة كرمه ولذا اتهمته فى البيت الأخير بأنها لم تر أقمح منه أى أقل منه حياءا لأنه تجرا وأخذها من زوجها ... مما دعى أبو زيد لأن يقول لها :

أخـذى مـهرنا واقبلـى عذرنـا

إنتى كسبتى الثنا وإحنا كسبنا الفضايح

وفى هذا البيت يقول أبو زيد : خذى يا حسن حصانى هذا واقبلى اعتذارى وعودى لزوجك وطفلك فقد فزتى يا حسن بموقفك هذا الثناء أما أنا فلم أفز إلا بالفضيحة جراء ما فعلته معك ... وتابع أبو زيد مسيرته عائدا إلى بيته ، وحينما وصل لبيته قال لزوجته "صدقتى خضر أكرم منى" لو كنت مكانه لما استطعت أن أفعل ما فعل. [1]

---

[1] عبد الله عطية السلايمة ، سيناء ثقافة وتراث ، مخطوط ، قصر ثقافة رفح.

العاشقان والذئب

يحكى فى بادية سيناء أن رجلا أنجب ثلاثة أبناء فسماهم باسم واحد "سالم" وحينما حضرته المنية أوصى لأولاده الثلاثة بوصية هذا نصها : "سالم يرث وسالم يرث أما سالم فلا يرث" ، وكان الغرض من وراء ذلك سر لا يعلمه إلا الرجل وزوجته ، المهم أن هذه الوصية كانت سببا فى النزاع بين الأخوة الثلاثة ، إذ كان كل واحد منهم يقول أبى يحبنى أكثر منكما وعندما ذهبوا لأمهم قالت لهم والألم يعتصرها "ثلاثتكم أولادى ولا فرق بينكم فى المعزة" وأخفت السر، فلما يأسوا من أن يجدوا حلا لتلك الورطة أشار عليهم أحد المعارف بأن يحتكموا لأحد القضاة "العرفيين" فذهبوا ثلاثتهم إلى القاضى وحكوا قصتهم وقصة الوصية فقال لهم : يا أولادى دعوا هذه الوصية وقسموا الإرث على ثلاثتكم ، فأبوا ورفضوا ، وأصروا على أن يعرفوا من سالم الذى لن يرث ، فلما وجد القاضى هذا الإصرار قال لهم : هذه القضية لم تمر على قبل ذلك وليس بيدى حلها فإن كنتم مصرين على رأيكم فسأصف لكم من هو أكثر خبرة وحكمة منى ولكن هذا الرجل يسكن على بعد مسيرة أسبوع أو أكثر وسيحتاج مشقة للوصول إليه فارضوا بحكمى وقسموا الميراث بينكم أنتم الثلاثة وارضوا بحكم الله فأصروا وتمسكوا بإصرارهم ، فوصف لهم مكان الرجل وكيف يصلون

إليه ، فجمعوا أمرهم وجهزوا للسفر ، وفى الطريق إلى هذا الرجـل صادفهم رجل يبحث عن جمل تائه فى الصحراء ، فلما سألهم عن الجمل قال له أولهم : "جملك هذا يحمل جرار عسل" فقال الرجل : نعم ، وقال الثانى : "جملك هذا أعور" فقال الرجل : نعم ، وقال الثالث : "جملك هذا أزعر" أى بدون ذيل - فقال الرجل : نعم فردوا فى صوت واحد : لم نصادفه لكن الرجل وبعد تلك الأوصاف التى وصفوا بها الجمل لم يصدقهم واتهمهم بسرقة الجمل إذ كيف عرفوا أن الجمل كان يحمل "عسلا" و"أعور" و "أزعر" وهى أوصاف لا يعرفها إلا من شاهد الجمل ، المهم أنهم فشلوا فى إقناعه بأنهم أبرياء من سرقة الجمل ، ولم يجدوا حلا إلا أن يذهب صاحب الجمل معهم إلى هذا الرجل الحكيم كى يحل لهم هذه الورطة ، ثم أنهم قالوا لأنفسهم أنها فرصة لا تعوض لاختبار الرجل الحكيم فإذا استطاع أن يحل مشكلتهم مع صاحب الجمل فمن المؤكد أنه سيستطيع حل مشكلتهم الخاصة.
المهم أنهم الأربعة وصلوا إلى الحكيم بعد عناء ومشقة ، فقالوا له : لدينا مشكلتان ، مشكلة مع هذا الرجل التى نرجو أن تحلها أولا ثم مشكلة بيننا نحن الأخوة الثلاثة وهى مشكلة خاصة نرجو أن تؤجلها فيما بعد، فسألهم الحكيم : من أى مكان أتيتم فقالوا : من كذا .. ثم سأل صاحب الجمل من أين أنت ؟ فقال الرجل : من المكان الفلانى وكان مكانا لا يبعد عن مكان الحكيم أكثر من ساعتين أو ثلاث ، فقال : أنت أيها الرجل يقصد صاحب الجمل بيتك قريب أما هؤلاء فمكانهم

بعيد وهم ضيوفى فما هى قضيتك لنحلها قبل الغروب حتى تصل إلى بيتك قبل أن يحل الظلام ، فحكى الرجل قصة الجمل التائه وما حدث بينه وبين الأخوة الثلاثة ، فسأل الحكيم الأخ الأول : ماذا أدراك بأن الجمل يحمل جرار عسل ، فرد الأخ الأكبر : وجدت على أثره آثار عسل يحوم والذباب حوله ، فسأل الأخ الثانى : وما أدراك بأن الجمل أعور ؟ ، فقال الأخ الثانى : من آثاره أيها الحكيم إذ أن آثاره تنحرف فى اتجاه واحد ثم تعتدل بعد أن ينتبه لخط سيره ثم تعود وتنحرف وهكذا ، فسأل الحكيم الأخ الثالث : وما أدراك بأن الجمل أزعر ؟ فقال الأخ الثالث : لأن بعره كوم واحد فلو كان بذيل لتناثر ، عند ذلك قال الحكيم للرجل صاحب الجمل : يا رجل اذهب وابحث عن جملك فهؤلاء أبرياء ، فلما ذهب الرجل نبه الحكيم على أهل بيته ليحضروا عشاء فلديه ضيوف ، ثم عاد لهم وسألهم عن قضيتهم فأخبروه بقصة الوصية وما حدث عند القاضى الأول فسألهم أن يرضوا بما قاله القاضى الأول ويقتسموا الإرث فيما بينهم فقالوا له : لو كان هذا الحل سيرضينا لما تكبدنا مشقة المجيء إليك ، فقال لهم الحكيم يفرجها الله .. خذوا واجبكم وبعدها يحلها من لا يغفل ولا ينام . المهم أن أهل بيته جهزوا الزاد واللحم وفتوا الثريد وجاء الحكيم بالعشاء ، ثم قدم لهم الطعام فأكلوا على مضض ولما كان الحكيم مشغولا بالتفكير فى حل قضيتهم فإنه لم ينتبه بأن ضيوفه لم يأكلوا كما ينبغى ، وكعادته عندما يكون مشغولا بقضية ما فإنه يترك ضيوفه فى المكان المخصص

للضيافة وينفرد بنفسه فى مكان غير بعيد عنهم فسمعهم وهم يتهامسون ، إذ قال الأول للثانى : إن المرأة التى طهت الخبز غير طاهرة ولديها عذر من أعذار الولايا "الدورة الشهرية" وقال الثانى : أما اللحم الذى قدم لنا فهو لحم كلاب وقال الثالث : حتى المحلى ابن حرام - ويقصد راعى البيت أى الحكيم - ، فلما سمع الحكيم هذا الهمس دارت فى رأسه الظنون خصوصا وأنه يعلم فراسة الأخوة الثلاثة ، هذه الفراسة التى دعتهم لأن يتعرفوا أوصاف الجمل التائه دون أن يروه ، فذهب دون أن يشعروا به إلى أهل بيته وسأل زوجته : إذا كان لديها عذر من أعذار الولايا "النساء" فقالت له أن عذرها جاءها عندما هتف عليها بأن لديها ضيوف ولم تملك لضيق الوقت أن تتطهر خوفا من يبطىء تجهيز القرى للضيوف فسألها عن الشاة التى ذبحتها فقالت المرأة إن هذه الشاة لها قصة عجيبة فعندما ولدت ماتت أمها وأعرضت كل النعاج من أن تعطيها ثديها لترضع منه وقد حاولت بالقوة مع هذه النعاج لكن محاولاتها كانت تبوء بالفشل فأشرفت على الهلاك لولا أن الكلبة التى كانت تحرس النعاج أشفقت عليها وأعطتها ثديها لكانت هذه الشاة قد نفقت وهى صغيرة ، فهز الحكيم رأسه وتأكد من فراسة الأخوة الثلاثة ولم يكن أمامه إلا أن يذهب إلى أمه ويسألها عن قصته هو ومن هو أبيه ، وقد كانت أمه عجوزا معمرة فقالت له : يا ولدى أنت ابنى فما الذى يدعوك بعد كل هذه السنين لأن تسأل وقد غزا الشيب رأسك وأنا كما ترى بينى وبين الموت خطوات معدودات ،

فأصر الحكيم ولما وجدت إصراره هذا قالت له : يا ولدى كان أبوك صاحب أموال وحلال و خير كثير وكان لا ينجب فخفنا أن تضيع كل هذه الأملاك وتذهب لمن لا يستحقها فاتفقنا على أن يطلقنى وأتزوج فى السر من رجل يختاره هو ويحفظ السر ، ثم بعد أن أحمل يطلقنى هذا الرجل وتحمل اسم أبيك وهذا ما كان ، فقد اختار أبوك راعى إبل وهو رجل طيب وكان يحب أبيك حبا عظيما وهذا الرجل هو أبوك الحقيقى ، وعندما سمع الحكيم من أمه هذا الكلام عاد للأخوة الثلاثة وسأل : من الذى قال بأن التى طهت الزاد لديها عذر؟ فرد الأول : أنا فقال الحكيم : أنت صادق وحكى قصة عذر زوجته ، ثم سأل : ومن الذى قال بأن اللحم لحم كلاب ؟ فرد الثانى وقال : أنا ، فقال الحكيم أنت صادق وحكى قصة الشاة التى أرضعتها الكلبة ، وسأل : ومن قال بأننى ابن حرام ؟ فقال الثالث على استحياء : أنا ، فقال الحكيم : أنت صادق ، وحكى القصة التى روتها له أمه ثم قال : ولا يعرف ابن الحرام إلا ابن حرام مثله ، لذا فأنت الثالث الذى أوصى أبوك بأن لا ترث ، فقاموا وانصرفوا بعد أن عرفوا الحقيقة كاملة.[1]

---

(1) أشرف أنور العنانى ، جريدة البادية العربية ، أبريل ٢٠٠٠م.

نمر بن عدوان

في يوم من الأيام اجتمع نمر بن عدوان بأولاده ، وكان عنده فراغ كبير فقام قال لأولاده : يا ولادى عايزين نروح لصاحب إلنا نقعد معاه شويه قالوا : زى ما تريد نفعل ، وراحوا ومشوا للرجال وكان اليوم بين العصر والمغرب ووصلوا للراجل صاحبه ، وجاءوا على البيت ، ونبهوا فلم يجدوا صاحبه ، ولقيوا الحرمة بتاعته ، فلما شافتهم عرفتهم ورحبت بيهم وعزمتهم وعملت الواجب معاهم ، والراجل مش موجود وكان نمر بن عدوان راجل كبير فى السن وشعر رأسه أبيض ، وكان أولاده اللى معاه فى عز شبابهم ، فجت الولية وقالت للراجل الكبير نمر بن عدوان - خد يا راجل يا هرم - أى يا كبير - أعمل قهوة ، فعمل القهوة وعمل اللازم كله لعياله ، وقامت الولية وسوت ليهم (لبة) وعملتها وسوتها بالرايب والسمن واسمها عصرية - عقاب النهار ، حتى تصلوا على النبى يا سامعين - وقالت المرة بعد اللبة : يا هرم وكل الضيوف ، فأكلوا وشربوا ، وبعد أن أخذوا واجبهم قال يا بنى قوم هات الربابة ، فجاء الولد بالربابة فقام الشايب وحمصها على النار وأمسكها وبدأ ينشد :

يـا عـز يلـى فـى دراعـك نقـاريش

طعنا لحكم الله وحكمـه علـى الـراس

لـن ردتنـى حطـاب سـيد المحـاطيب

وإن ردتنى جلال أجلل وأجيب ع الراس

ولا يعجبـك طـير علـى ضمـة الريـش

طـير الحبـارى أشـهب الـراس قرنـاس

"أى لا تنغرى فى الشباب اللى قدامكى أنا مقدورتى أسوى كل شىء فأنا لو كان راسى أبيض فأنا أجدع من الشباب"

ففهمت المرأة واعتذرت لنمر بن عدوان ، فقفل راجعا مع أولاده بعد أن أعطاها درسا لن تنساه فى عدم الاغترار بشخص مهما كان ولو عجوزا هرما طاعنا فى السن. [1]

---

[1] حميد أبو حسان "رفح".

ما أريده غير بدوى

أعطى سلامه جمعه من اللحيوات الحناظلة قصلة بنته البكر إلى شمس إسماعيل من أهالى نخل وأخذ مهرها منه بدون أن يسألها على عادة الأب فى تزويج بنته البكر فلما جاءوا يزفونها إليه فرت منهم ولم تدخل "البرزة" فلحقوها وحملوها على جمل وأدخلوها البرزة[1] رغما عنها فأغمى عليها ولما أفاقت قالت : لو قطعت إربا ما أتزوج حضريا . ثم غافلتهم وفرت إلى الجبال وكان ذلك سنة ١٩٠٥. وفى شرع العرب أنه إذا بقيت البنت مصرة على رفض زوجها سنة بطولها حل القاضى طلاقها فما زالت هذه البنت تفر من جبل إلى جبل حتى مضت السنة وسمعت بأن مدير المخابرات المشرف على حكومة سيناء فى رفح رجل عادل فجاءت إليه متظلمة وقالت : "إن كان الحضرى قد تزوجنى بشرع العرب فقد مضى على زواجى به السنة وأنا لا أريده فوجب عليه طلاقى بشرع العرب. وإن كان قد تزوجنى بالشرع الشريف فكان الواجب على أبى أن يسألنى قبل أن يرضى به وأبى لم يسألنى وعليه فأنا طالقة منه على الحالين . قال لها : أراك قد نفرت منه قبل اختباره فلربما لو خبرته كان أصلح لك من كل بدوى خصوصا وأنه

---

[1] البرزة : الخيمة التى تتزوج فيها المرأة فى البادية ، وقد تصنع من جريد النخل وأشجار العادر.

يحبك حبا جما وهو رجل ذو يسار يريحك من رعى الأغنام وشظف العيش فى البادية فأجابتنى بنحو ما أجابت به أختها البدوية منذ أجيال :

لبيت تخفق الأرياح فيه   أحب إلى من قصر منيف

وقد علمت من بعض زاويعا أنها علقت بحب ابن عم لها ، فبعث مدير المخابرات الإنجليزى بكتاب إلى قاضى نخل لتحقيق رغبتها ، وعدم إجبارها على الزواج بمن لا تحب فحكم القاضى بطلاقها وتزوجت بابن عمها.[1]

[1] نعوم شقير ، تاريخ سيناء ، مرجع سابق ، ٣٩٠: ٣٩١.

المفرط أولى بالخسارة

حكى الشيخ إبراهيم أبو الجدائل أن رجلا من القرارشة يدعى حسن أبو نميرة استدان منى ١٢ "بنتو"[1] فطالبته مرارا فلم يفها ، وفى كل مرة يعتذر بالعدم ، فلما كانت ١٩٠٠ سنة ذهبت إلى غوطة فيران فى موسم البلح لتحصيل ديونى من العربان فوجدت حسن أبو نميرة هناك فطالبته بالدين فاعتذر بالعدم كعادته . فسألت قومه عن حاله فأقسموا أنه لا يملك شيئا غير الثوب الذى عليه ، فقلت لهم : إذن أنتم أهله ، توفون دينه لأنى أنا لم أقرضه مالا إلا لقرابته بكم . فقالوا : ولكنا نحن لم نكفل لك دينه ولا سألناك أن تقرضه . قلت : إذا فاحسبونى واحد منكم وتحملوا الخسارة معى قالوا : "المفرط أولى بالخسارة"[2] فلما ضاقت بى الحيل قلت : أريد منكم شيئا بدل مالى وهى أن تربطوا عمتى هذه فى رقبته فأقوده بها من أول فيران إلى آخره قالوا ولأى شيء تفعل ذلك ؟ قلت أريد أن أقوده إلى العوارمة لعلهم يفتدونه بوفاء دينه فقالوا : أنسمح بابن عمنا أن يجر كالخروف إلى قبيلة أخرى ؟! ثم قام واحد منهم وقال : على باثنين "بنتو" من دينه ، فقام الحاج موسى أبو خشنى وقال : على بالدين كله يا أبا الجدايل ووفاه عن آخره.[3]

---

(1) البنتو : عملة كانت تتداول قديما.

(2) المفرط أولى بالخسارة : مثل بدوى يطلق لمن أعطى ماله للناس دون ضمانات فهو أحق بأن يخسر.

(3) نعوم شقير مرجع سابق ، ٣٧١: ٣٧٢.

طريق سيدنا موسى : إنه في إحدى السنين اشتد الجوع في الجزيرة وانقطع الزاد عن الرهبان فأقروا على ترك الدير والالتجاء إلى مدينة الطور فرارا من الجوع فصعدوا إلى قمة جبل موسى لأداء الزيارة قبل الرحيل وتأخر "الأقلوم" في الدير فأقفل الأبواب وسلم المفاتيح إلى شيخ أولاد سعيد بحضور مشايخ الجزيرة كلهم وسار في طريق قمة جبل موسى لاحقا بإخوانه فلما وصل هذا المكان تجلت له "مريم العذراء" وابنها على يديها وقالت له : اذهب وتمم زيارتك لقمة الجبل ، وعد بإخوانك إلى الدير فإن الفرج قد جاءكم قالت ذلك وغابت عن نظره. فعاد بإخوانه إلى الدير فوجدوا إبلا كثيرة محملة حبوبا فسألوا أصحاب الإبل عمن أتى بهذه الحبوب فقالوا أتى بها شيخ جليل علاه الشيب وفتاة في منتهى الجمال وقد رافقانا إلى هذا المكان ثم اختفيا عن الأبصار . قال الرهبان إن الشيخ والفتاة هما موسى النبي والقديسة كاترينا وقد شادوا هذه الكنيسة على اسم مريم العذراء تذكارا لتلك الحادثة العجيبة.[1]

---

[1] نعوم شقير مرجع سابق ، ٢٢٠: ٢٢١.

الكفيل والبحر

صلوا على النبى ، وزيدوا النبى صلاة ، كان يا ما كان فى سالف الأزمان والعصر والأوان ، كان فيه فى البادية تجار بيتاجروا ، بيبعوا وبيشتريوا ، وكانوا كل سنة يخرجوا للتجارة فى قافلة بترحل من بلد لبلد مجاورة إلهم وكانت بعيدة ، وكان ضمن هذه القبيلة راجل فقير كبير السن بيعيش مع حرمته العجوز ، ولما آن الآوان لخروج التجار قالت إله الحرمة ما تروح يا راجل إخرج مع القافلة يمكن ربنا يكرمك ويكرمنا ويتغير حالنا فرد عليها وقال : واتاجر أنا بأيش فقالت إله : روح يمكن ربنا يكرمك بشىء فرد عليها والله لأروح واللى كاتبه ربنا هيصير ، راح وحضر الرجال جمله ، وأخد معاه الزاد والزواد واللى يكفيه علشان يوصل للبلد اللى بيتاجر فيها التجار.

وخرج مع القافلة التجارية ومرت الأيام وهو بيدعى ربه إنه يكرمه ، ولما وصلوا للبلد راح كل راجل إلى تاجر من التجار ، ونزل بضاعته ، وباع واشترى فوقف هذا الرجل ينظر إليهم وليس معه أى بضاعة فرآه أحد التجار وحسبه "تاجر كبير" فرحب إبه وقال : سلامات يا رجل اتفضل فرد عليه قائلا : الله يسلمك ، فقال له : وايش بتريد ، فقال : أريد بضاعة فقال : وايش طلباتك قال : زى ما بياخدوا الناس اعطني ، فأعطاه حمل بعيرين من الشعير والقمح والعطور والتوابل

وخلافه وقام بالواجب معاه ، وبعدين قاله : هات الحساب ، فقاله الراجل : كم الحساب؟ فقال التاجر : كذا ، فرد عليه وقال له : اسمع يا رجال أنا ما معايا دراهم الحين وإن شاء الله يوم ما أبيع أغراضي - أي البضاعة - هجيب إلك الدراهم ، فقال له : أنا ما بعرفك فرد عليه قائلا : والله أنا صادق فقال له التاجر : ومن يكفلك ، فرد عليه وقال له كفيلي الله ، فرد عليه الرجل في استحياء وخجل ، آمنت بالله واستكفبت ، اتوكل على الله يا راجل وخذ البضاعة ، ورجع الراجل مع الرجالة ، ولما وصلوا باع الرجل البضاعة وكسب مال كثير ، وافتكر الراجل إن عليه دين ولازم يسدده للتاجر صاحب البضاعة فقام الرجل وسأل الرجال عن معياد رجوعهم للمدينة فقالوا له : البلد هادي اللي جينا منها صار بيننا وبينهم خلاف وقفلوا الحدود اللي بينا وبينهم ، اصبر حتى تنفتح الحدود ، فقال لهم : كيف أصبر وأنا وعدت الراجل أول ما أبيع ها أبعت إله الدراهم أنا والله عاهدت الراجل؟ ...

ورجع مهموم وأثناء رجوعه تذكر أن الكفيل هو الله فقال وليش أتعب نفسي ما أقوم و أوديها للكفيل ، وقام وأخذ بعضه ومسك عود من البوص وفرغ قلب البوصة بسلكة وحط الدراهم ورمى البوصة في البحر ، وقال : يا كفيل ودي الأمانة لصاحبها وبعد عشرين خطوة من رجوعه قامت زعببة في البحر وريح أخذت عود البوص فحمد الله ورجع إلى بيته ومراته واعتقد الرجال أن الأمانة وصلت لصاحبها ، ومرت الأيام ودارت الأعوام ورجع العمار بين البلدين واتفك الحصار وحضر التجار بضاعتهم علشان يتاجروا ثاني فركب الرجل جمله وقال

للتجار خدونـى معكم فأنا قد ربحت فى المرة السابقة وخرج معهم وهيد بهيد[1] وتعجلوا الطريق وتوالت الخطوات ووصلوا البلد وراح كل واحد على تاجر وراح الرجـل إلى التاجر اللى أخد منه البضاعة زمان فقـال لـه السلام عليكم فاحتضنه الرجل وأكرمه وأعطاه واجبه وقاله : إيش طلباتك فقال له العجوز : زى المرة اللى فاتت ، فجهز لـه الرجل طلباته وحملها ولما فرغ من ذلك قال لـه العجـوز : خلف الله عليك يا راجل فقال له الراجل : وين رايح فقـال لـه : مروح ، فقال له والحساب ؟ فقال لـه العجـوز : الحسـاب زى المـرة السـابقة ، فأمسكه الرجل من هدومه.وقال له : هو أنت مجنون وين دراهمـى فـى المرة السابقة ودلوقت ؟ فرد عليه الراجل وقال له : والله أنا أعطيتك حسابك وبعتها مع الكفيل فصاح التـاجر : أغيثونـى يـا نـاس يـا تجـار يـا رجـال .. فاجتمع الرجال حوله سائلين عن القصة ، فقـال لهم التـاجر : أنـا بدى حقى من هادا الرجل قريبكم ، فقالوا لـه : نقعد عندك فى الدار بعيد عن السـوق وتقص لينـا القصـة ، فأغلق الرجل محله وذهـب معهم إلى بيتـه ، وهنـاك فى "الشق" كان ولاد الرجـال جـايبين حطـب علشـان يقيدوا منه للنار ، والبوص كانوا بيوضعوه كسياج علشان يحمى الشق من الريـح لأن نـاره ضعيفة ، وبدا التـاجر يقص عليهم القصـة والرجل يقسم أنه بعث للرجل حقه مع الكفيل فقالوا له : يا راجل أنـت مجنـون معقول ربنا هيبعث حق الرجال أنت بتخرف ، فأقسم لهـم وهـم بـالطبع لا يصدقـون لأن هـذا شئ لا يصدقه عقل ، وأثنـاء الكلام وقعت عينـا الرجل على البـوص المحـاط بسياج الشق فعرف البوصة ، فحمد الله

[1] هيد بهيد : أى خطوة بعد خطوة وكأنهم يتشجعوا فى الإسراع بالخطى.

وحكى لهم القصة وأشار على البوصة فاستدعى الرجل أحد أولاده وسأله : امتى يا ولد جبتوا البوص هادا هنا ؟ فقال : يا بونا من سنتين قامت زعبيبة فى البحر ، وخرج من البحر حطب وبوص فأخذنا وأوقدنا به ، والبوص هادا حطيناه فى هادا السياج فتعجب الجميع وجاءوا بالبوصة التى أشار عليها الرجل وقبل أن يمسوها سألوا التاجر عن عدد دراهمه فأجاب بأنها : كذا ، فلما فتحوا البوصة وجدوا أن عدد الدراهم هى نفس العدد الذى قاله الرجل فذهل الناس وكبروا وسجدوا لله وظلوا يتمسحون بالرجل ويقولون له : بركاتك يا شيخ فرد عليهم قائلا : أنا والله ما أنا صاحب كرامات وإنما أنا أخلصت ضميرى لله وهو الذى كفلنى فبعت معاه الكفالة فقام التاجر وقال للرجل : والله من اليوم أنت أخوى فى عهد الله واللى يخون يخونه الله وأنت الآن شريكى فى كل ما أملك ما عدا ما حرمه الله وهأبعت إلك نصيبك من كل ما أربحه ، ووضع يده فى يد الرجل وظل يبكى ، ورجع الناس مذهولين يقصون لمن يجدونه قصة العجوز والبحر وماذا يفعله الإخلاص فى النفوس وأصبحت قصته تتناقلها الأجيال وغدا الرجل غنيا مبروكا يوقره القوم ويجلونه لأمانته وصدقه.

وتوته توته حلوة ، ولا ملتوتة ، إن كنها مليحة عليكو دبيحة ، وإن كنها شينه عليكو قطينة ، وسلامتكم يا السامعين.[1]

---

[1] نقلا عن : كامل خليل الكاشف.

الفهرس

الموضـوع	الصفحة

تم بحمـد الله

مـع تحـيات
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
تليفاكس: ٥٢٧٤٤٣٨ - الإسكندرية